

خيال × خيال

سر المنادى العجيب

تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

صفحة فارغة

سٲرا لئنا فان الءةةة

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
أسسها محمد المعتم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

(١)

إجازة إجازة . . كله إجازة . .

وانطلقوا يغنون وهم يغادرون مبنى المدرسة ، وقبل أن يستودعوا بعضهم البعض ، أحس كل منهم أن أمامه شهورا طويلة من اللعب ، واللهو ، والقراءة ، والذهاب إلى الشاطئ . . وأيضا عدم الإحساس بالمسئولية . .

تنهد أحدهم : راحة . . وراحة . . وغدا ستعب من الراحة . .

قاطع زميله : أنت سوف تستريح أما نحن . . فأمامنا أسبوع حافل بالعمل . .

نظر الأول إليه ، وقال بدهشة :

.. ماذا . . هل لديك عمل شاق؟

هز الثانى رأسه ، وقال : طبعاً . . ألن تشترك معنا في المهرجان . . ؟

وبدت الصدمة على وجه الأول . وكأنه يتذكر شيئا بالغ الأهمية ، وتمتم :

.. يا إلهي . كدت أن أنسى . إنه أمر متعب حقا . .

قال زميله : لكل تعب لذته . . من اليوم سوف نستعد
للمهرجان . . سنعمل ، ونتسلى ونبتهج ، والمتفوق سيحصل على
جائزة .

تتم الآخر : إنه أول مهرجان من نوعه . . إذن ، فالإجازة لم
تبدأ بعد . .

بكل حماس قال زميله : لا ، بل بدأت فعلا . هل تتصور أن
الإجازة نوم . .

رد الآخر : لا . بل لعب .

هتف زميله : ومن قال لك إن المهرجان ليس لعبا . . كل
شئ فيه لعب ، واللعب موجود في كل شئ . . حتى في
الاستذكار . .

بدا كأنه يقول كلاما غير مفهوم . . تتم ببعض الكلمات
غاضبة ، وقال :

- أرجوك ل ، لاتذكرنى بالاستذكار . . إجازة سعيدة . .

وراح يلوح بيده لزميله ، وانطلق في طريقه ، يحلم بالإجازة
الطويلة ، وبها سيفعله فيها ، وأخذ يخطط لعشرات الألعاب التي
سيقوم بها . . ولم تسعه الفرحة .

أما زميله ، فقد أحس بالضيق ، ود أن يخبره بأشياء كثيرة عن

الإجازات ، وكى يغير من أفكاره السطحية عن مفهوم الإجازة .
قال لنفسه : سوف نبتهج ، ونكسب فى المهرجان . .
ولم يكن يعرف أن مغامرة غير متوقعة فى انتظار الجميع ،
وخاصة هؤلاء الذين سيشاركون فى المهرجان ، وما أكثرهم .

(٢)

بلغ الخلاف فى الرأى حده أثناء الاجتماع الأخير لحكام مدينة
الحكايات . وانقسمت الآراء حول الوفد الذى سوف يتم تشكيله
لحضور وقائع المهرجان الذى سيقام فى مدينة « البسمة » خلال أيام
قليلة .

قال شهریار : أنا ملك أسرتنى شهرزاد بحكاياتها الجميلة ،
وهاهى زوجتى مشغولة الآن بأولادها ، ولا أحد يحكى لى حكايات
جديدة . . يجب أن أذهب إلى المدينة ، لأسمع حكايات الناس .

تدخل حكيم المدينة ، وقال :

- مشكلتك يا أخ شهریار ، أنك تسمع الحكايات فقط . نريد
مواطننا من مدينة الحكايات يروى القصص للناس ، ولا يسمعها .
تدخلت « أم الغولة » : أنا . .

ابتسم « حكيم المدينة » وقال : شىء غريب . إنه مهرجان

للبهجة ، وأنت ستثيرين خوفهم .

بكل ثقة تكلم « سندباد » قائلاً : حكاياتى عن الرحلات التى لن تنتهى ستجذب انتباههم .

أحس « حكيم المدينة » بأن « سندباد » قد يكون الشخص المطلوب ، ولكن هذا المهرجان ليس فقط من أجل الحكايات ، ولكنه أيضا يضم كافة الفنون الأخرى .

تذكر فجأة أن مدينتهم تسمى « مدينة الحكايات » ، وأن كل مواطنيها معروفون فى القصص الشهيرة بأنهم يعملون على تسليّة الناس ، وخاصة الصغار ، وتعليمهم أفضل السلوك بشكل غير مباشرة . لذا أشار بيده أنه سيتكلم ، راح يدقق فى وجوه الرجال والنساء من حوله . إنهم شخصيات شهيرة فى الحكايات ، وليس مطلوباً منهم الكثير فى هذا المهرجان . . هنا ، قال :

- اسمعوا يا مواطنى « مدينة الحكايات » لقد ظللنا نروى للناس قصصاً طوال قرون طويلة ، وشاركنا فى إمتاع الجميع ، ألم يحن الوقت لناخذ إجازة . .

هتف « علاء الدين » وهو يغنى : إجازة إجازة . . كله إجازة . .

انطلقت الضحكات فى القاعة ، على الطريقة التى شدا بها

«علاء الدين» الأغنية . وانعكست في ضحكاتهم رغبة كل منهم في أن يأخذ إجازة ، ولو قصيرة ، يخرج فيها من الإطار الذى حبسته فيه الظروف .

هنا قال الرجل :

- رائع . . إذن سوف نذهب جميعا لحضور حفل الافتتاح . .
ما رأيكم ؟

بدا القرار عادلا ، وكأنه قد جاء فى وقته تماما . . علت
التهنئات تنادى بطول حياة « حكيم المدينة » الذى قرر أن يذهب
الجميع إلى مدينة « البسمة » لحضور حفل افتتاح أول مهرجان من
نوعه ، والذى حشدت من أجله إمكانات هائلة كي يكون
ناجحا .

(٣)

هيهات !!

هكذا رد « الشبح الأزرق » وكلماته تنعكس على الشاشة
الموجودة على صدره . . وقد بدت حروفها غليظة وكأنها تعبر عن
إصراره على التصدى بكل قوة لذلك الحدث الكبير الذى سيقام فى
مدينة « البسمة » خلال أيام . .

جاءت كلماته حادة، وباللون الأحمر القانى على الشاشة لتشير
الحيرة:

- لن يقيم أبناء المدينة المهرجان وأنا على قيد الحياة . . مفهوم؟
هز أتباعه رؤوسهم . وهل لأحد منهم الحق فى أن يبدى قبولاً،
أو رفضاً لأى فكرة يقترحها أو لأى أمر ينطق به . إنه فى غاية
الضيق من تلك الأخبار المزعجة التى جاءت عن مدينة « البسمة »
التي تنوى إقامة أول مهرجان من نوعه فى بداية موسم الإجازات ،
مهرجان « السعادة للجميع » الذى سوف يشارك فيه أبناء المدينة
جميعاً ، فى الساحة الشعبية الكبرى التى تتسع لخمسمائة ألف
شخص .

راح يطرد من رأسه الأفكار السيئة ، بالنسبة له ، وهو يتخيل
الناس فى حالة سعادة وبهجة ، يخرجون إلى الشوارع فى أحلى زينة ،
يتبادلون التهاني والابتسامات والعبارات اللطيفة ويضحكون ، أما
الأطفال فيحملون البالونات المفضضة ، الغريبة الأشكال التى
تنطلق فى الفضاء ، وتعود مرة أخرى متى شاء صاحبها .

هز « الشبح الأزرق » رأسه ، وهو يبعد عن تصوره أن يحدث
كل هذا . . تتمم :

- لن يحدث طالما أنا حى . .

طلب أحد الأشباح الكلمة ، وهو أمر نادر الحدوث في المدينة الزرقاء . ثم وقف ، وبكل أدب وبينما هو ينحنى قال :
- إذا كان أبناء « مدينة الحكايات » سينزلون إلى مدينة « البسمة » من أجل المشاركة . فلماذا لا نزل نحن ونفسد المهرجان . .
جاءت صرخة « الشبح الأزرق » حادة على الشاشة وهو يقول
بكل غلظة :
- لا . . لا . .

كان يعرف أن نزوله أو أحدا من إشباح المدينة الزرقاء إلى المهرجان يعنى أن يموتوا جميعا من الحسرة . فكيف لهم أن يندسوا وسط الناس وهو يغنون ، ويمرحون ، إن هذا كفيل أن يصيبه بالضمور الفورى . إذن ماذا يفعل ؟ عليه أن يتصرف .
تمتم في داخله : لن تقوم للمدينة قائمة . .
وظهرت تميمة أشبه بشفرات على الشاشة الزرقاء . بدا كأنه يتذكر شخصا ما عليه أن يصفى حساباته معه . وقرر أن يمنعه من الوصول إلى المدينة ، فلا شك أنه سيحضر هذا المهرجان . . تمتم
قائلا لنفسه :

- سوف تكون هناك مفاجأة مرعبة له عندما سيصل إلى
المدينة . .

(٤)

المدينة بأكملها تستعد الآن لإنجاح هذا المهرجان ، بعد أن انتهى الصغار من أداء امتحاناتهم ، وهاهى الأسر تنوى السفر إلى شاطئ البحر ، أو الصعود إلى قمم الجبال العالية المليئة بالخضرة ، والأشجار من أجل قضاء إجازة سعيدة .

إنها المرة الأولى التى سيقام فيها هذا المهرجان . . . ففى صباح يوم الخميس سوف تعلن جميع المدارس نتائج الامتحانات ، وفى ظهيرة ذلك اليوم ، سيأتى المحافظ إلى الاستاد الكبير ، لافتتاح أسبوع السعادة ، والذي سيتم فيه اكتشاف الموهوبين الجدد فى كافة المجالات . والذين سيحصل كل منهم على « درع الموهبة » الذى يعتبر أعلى وسام يمكن أن يحصل عليه مواطن من أبناء لدينة طيلة حياته .

لذا ، فإن الاستعدادات قد بدأت قبل وقت طويل . وراح كل موهوب يتدرب فى مجاله بشكل جدى ، وصقل موهبته ، بالقراءة والإطلاع ، ليس فقط فى مجال موهبته ، بل فى كافة المعارف الإنسانية .

ورغم أن الجميع كان ينتظر يوم الخميس التاسع من يوليو ببال الصبر، فإن الشعور السائد بمشابة منافسة حقيقية من أجل

صفحة فارغة

الحصول على أول درع من دروع الموهبة . لذا تحولت المنافسة في بعض الأحيان إلى ما يشبه الحرب المرتقبة ، حيث راح كل مشارك يخفى خططه في مجالات تفوقه ، وتكتم الكثيرون أسماء الكتب التي يقرؤونها ، أو النصوص التي يحفظون مقاطع منها ، وكأن ذلك من الأسرار الحربية الخطيرة التي لا يمكن البوح بها ، والتي لن تظهر إلا ساعة المواجهة الأخيرة بين الموهبين ، وبين الناس في ساحة الاستاد العملاق .

لم يكن الأمر سهلاً . .

ورغم ذلك فقد كان مليئاً بالمتعة ، فنظرة واحدة إلى نوافذ أى عمارة ، أوبيت فى المدينة توحى أن هناك شيئاً ما يتم فى داخله ، شيئاً يمكن أن يزيد من مساحات الابتسامة ، والفرحة لدى المدينة التى اختارت لنفسها هذا الاسم الغريب . .

ولذا ، ففى صباح يوم الخميس استعد أولياء الأمور للخروج من منازلهم فى ساعة مبكرة ، للذهاب إلى المدارس ، من أجل معرفة نتائج الامتحانات ، وذلك كى يعودوا بسرعة من أجل الاستعداد للتوجه إلى الاستاد للمشاركة فى افتتاح المهرجان الذى سوف يستمر بضعة أيام .

وفى ساعة مبكرة ، بدت المدينة مشرقة مليئة بالزينة . . وكأنها

فى عىء حقىى . البالونات تتطاىر فى السماء بكافة الألوان والأحجام والأشكال ، وأقواس النصر الصغىرة . تملأ الشوارع . وقد حرص الناس أن يزىنوا سىاراتهم بأوراق مزركشة تبدو بهىة للعىون . .

وانطلق أولىاء الأمور فى هذه الساعة المبكرة إلى مدارس ابنائهم . ولم يستغرق التعرف على النتيجة وقتا طويلا . فقد عاد الجميع إلى سىاراتهم بعد دقائق قليلة من دخولهم مبنى المدارس . وانطلقوا عائدين إلى المنازل ، وقد ارتسم على وجوههم جميعا الأولاد والبنات فى الامتحان . . ؟

(٥)

أصاب الغم وفد مءىنة الحكايات حىنا دخلوا إلى مءىنة « البسمة » ، وقرروا سرعة الخروج منها بعد أن تأكدوا تماما أنهم أخطئوا الطريق . .

وعند بوابة المءىنة المزركشة صاح « حاتم الطائى » :

- أبءا لىست هذه مءىنة « البسمة » .

أشار « على بابا » إلى اللوحة المعلقة على بوابة المءىنة ، وقال :

- انظروا . . إنها هى . . نحن لم نخطئ العنوان . .

راحوا جميعا ينظرون إلى اللوحة « ابتسم وأنت في مدينتنا » .
نظر « حكيم المدينة » إلى اللوحة بإمعان ، ثم فرك يديه ،
مندهشا ، وتساءل :

- لكن ماذا حدث . . ؟

قالت « ذات الهمة » : لا يمكن أن يوحى مارأيناه بأننا في مدينة
« البسمة » .

وبطريقته المثيرة للسخرية علق « جحا » أبرز أبناء المدينة :
- الظاهر أنها غلطة مطبعية . .

ورغم حساسية الموقف ، فقد أحس الجميع أن مافعله جحا لم
يكن من الاستهزاء ولكن لكسر حدة المفاجأة والدهشة التي
أصابتهم جميعا حين دخلوا المدينة وشاهدوا بها مارأته أعينهم ،
كان « حكيم المدينة » قد قرر أن يرأس بنفسه وفد مدينته في هذا
المهرجان . . لكن من الواضح أن ماشاهدوه لا يمكن أن يوحى أن
هناك مهرجانا ، فقد لاحظ أن هناك شيئين متناقضين في المدينة
لا يمكنهما أن يلتقيا أبدا . لكنه لم يستطع أن يجد لهما تفسيراً .
قال :

- علينا العودة إلى مدينتنا بكل سرعة . . وأن نجتمع لناخذ
المشورة . . من الواضح أن هناك مؤامرة .

تدخل سندباد قائلا :

- ولماذا لا نتخذ القرار هنا ، طالما أن الأمر حساس . . ؟
بدت فكرة سندباد عاقلة ، أبدى « حكيم المدينة » استحسانا ،
وقال :

- حسنا ، سوف نتخذ هنا القرار . . يجب أن نفعل شيئا .
قال شهریار :

- بصفتى خبيرا فى الحكايات التى سمعتها من زوجتى
شهرزاد . . فلا يوجد سوى « جحا » كى يبعث البهجة إلى قلوب
الناس .

- هنا تدخل « جحا » وقال ساخرا :

- أنا . ماشاء الله . . وهل أستطيع أن أحرك تماثيل جامدة .
هذه المرة لم يضحكوا ، بل كان « جحا » يتكلم بمرارة . فهو
لا يستطيع أن يفعل شيئا أبدا إزاء ما أصاب المدينة . .

(٦)

عندما دخل الرجل العجوز الموفد من مدينة الحكايات إلى
مدينة « البسمة » لم يحس بأى استغراب لما رآه بعينه . . تتم بكل
حسرة :

- بالتأكيد ، لقد مر الشبح الأزرق من هنا . .

كانت المدينة ذات شكل غريب ، وتبدو كأنها واقعة في تناقض حقيقى . فالأعلام والرايات والزينات المعلقة توحى بأنه موجود فى أكثر مدن الدنيا سعادة ، ولكن هذه لا يبدو قط على وجوه الناس الذين يتحركون هنا وهناك ، كأنهم فقدوا شيئاً هاماً للغاية .

رأى رجلاً عجوزاً مثله يستند على عكازه ، ويحاول أن يعبر الطريق ، راح يستند عليه كى يعبر معه ثم قال له :

- هذه مدينة سعيدة . . ولديها مهرجان اليوم .

رد الرجل وفى لهجته خشونة بادية : إنهم أغبياء . . مالزوم كل هذه الأشياء ؟

راح الرجل يشير إلى الزينات ، وردد : كل هذه لافائدة نها . .

ابتسم العجوز ابتسامة مصطنعة وقال :

- إنها أشياء جميلة ، تسر من ينظر إليها . . وتسعده . .

نظر الرجل إلى « العجوز » وكأنه يندهش من الضحكات التى ق بها وقال :

- فى كلماتك أفاظ غريبة . .

سأله « العجوز » : أنا لم أقل شيئاً غريباً . . بل رأيت أن منظر

المدينة يبعث على البهجة . .

قال الرجل الآخر وهو يسحب يده من العجوز :

- هذه الكلمة الأخيرة تبدو في غير موضعها .

لم يتبّه « العجوز » إلى كلام الرجل وإنما راعه صورة طفلة صغيرة في إعلان تجارى معلق على الجدران وقد أمسكت بيدها مصاصة وبدأ على وجهها جمود واضح . . نظر مرة أخرى إلى الإعلان ، ثم إلى الرجل وقال :

- أعتقد أننى رأيت وجه هذه الطفلة من قبل .

قال الرجل : إنه هنا دائما . .

رد العجوز : لكنها كانت تضحك . .

قال الرجل : فعلا . . لكنها هكذا أفضل . .

بدهشة ، قال العجوز : غريبة . منظرها وهى تضحك

أفضل . .

تمتم الرجل : لا . . هكذا أفضل . .

هنا تأكد العجوز أن جنونا غريبا أصاب المدينة ليس فقط من خلال مايقوله هذا الرجل وليس أيضا في صورة الطفلة التى فقدت ابتسامتها . ولكن فى كل ما يروونه بالمدينة .

هنا تتم العجوز :

- هذه المدينة فقدت شيئاً هاماً . . خسارة . .

(٧)

قرر العجوز أن يعيد ما فقدته المدينة بأى ثمن . فبهذه الصورة
لن تقوم للمهرجان المنتظر أى قائمة وسيظل الناس على هذه
الشاكلة إلى الأبد . .

كان الجمود يكسو الوجوه بطريقة لافتة للنظر ، وكأن عضلات
وجوههم غير قادرة بالمرّة على الابتسام ، صحيح أن الناس تتكلم ،
ولكن فى صوته خشونة واضحة ، وليس هناك أى تناغم فى
الصوت ، إنهم أشبه بآلات مبرمجة ، أو بأحجار متكلمة تبدو كأنها
خلت تماماً من الحياة .

اقترب العجوز من شاب وسيم ، وأطلق عليه التحية . وبكل
خشونة رد الشاب التحية وكأنه يرميه بحجر ثم إنطلق فى طريقه .
تمتم العجوز :

- يا إلهى . . كأننى سلبت منه شيئاً !!

أسرع العجوز وراءه ثم قال له :

- يا صديقى . . لقد قصدت تحيتك ، حياك الله . .

رد الشاب بنفس الطريقة وبكل غلظة : حياك الله ياسيد . .

هه . . وماذا بعد .

التفت الشاب إليه وبدا كأنه يضم قبضته كى يستعد ليلكمه بقوة . . تراجع العجوز إلى الخلف حتى يتفادى الضربة الموجهة إليه وقال :

- لا . . أنا لا أحب العراق . .

قال الشاب : إذن امض إلى سبيل حالك وإلا حطمت لك فكك . .

وانطلق الشاب في طريقه ، ولكن العجوز لم يتمكن من أن يغرق في ذهول . فقد سمع شخصين يتعاركان في خشونة واضحة ، أسرع نحوهما ، وحاول أن يفك الاشتباك فيما بينهما كان أحدهما قد تمكن من الآخر وغلبه وأسقطه فوق الأرض ، قال المنتصر للعجوز :

- ماذا أيها الرجل . لماذا انحشرت بيننا ؟

رد العجوز : أنا لا أحب العراق . .

قال المنتصر : وماذا يهمنى . . هيا اغرب عن وجهى . .

والا . .

وآثر العجوز أن ينسحب ، وهو يتمتم :

- شىء غريب . لم أكن أتصور أن الابتسامة قد راحت من

هنا ، بل حلت الخشونة مكانها والناس يمكنها أن تتعارك بسهولة .
وقرر الرجل أن يفعل شيئا وقد حيره مايراه في المدينة التي
ارتفعت حدة خشونة أهلها بسرعة ولو تطورت الأمور أكثر من هذا
لأصبحت أكثر سوءا . . . حيث يمكن للأسرة الواحدة أن تتعارك
أبناءؤها فيما بينهم .
تتم العجوز : سوف أتصرف . . . يجب أن أتصرف . . .

(٨)

اقترب منه قزم صغير ، يرتدى ثوبا جميلا يميل إلى اللون الأزرق
وقال :
- أيها العجوز . نحن نعرفك جيدا . وأنت الوحيد القادر على
إنقاذ المدينة .
انتابت الدهشة العجوز ، فكيف عرف هذا القزم أنه قادر على
إنقاذ المدينة . بل كيف يعرفه وهو مجرد رجل عجوز لاحول له ولا
نوة ، نظر إليه دون أن تتأبه الرغبة في السؤال ، بل في أن يقول
بالديه من معلومات . أحس القزم بالارتباك ، وقال :
- نعم . اسمى هانى . كان المفروض أن أشارك في المهرجان . .
هنا قرر العجوز أن يتكلم :

صفحة فارغة

- ولماذا لن تشترك في المهرجان ؟

رد القزم : آه . . يبدو أنك لا تعرف ما حدث بالضبط . . لقد سرقوا شيئاً هاماً .

سأل العجوز : من اللصوص . . وماذا سرقوا ؟
أجاب القزم : لا أحد يعرف السارق . . ولا أحد يعرف ماذا سرقوا ؟

ببساطة بادية ، قال العجوز وكأنه ينفخ يديه : إذن فليست هناك جريمة .

أشار القزم إلى وجه رجل يمر إلى جواره وقال :
- لو نظرت إلى هذا الوجه ستلاحظ أن هناك شيئاً ضائعاً .
كان العجوز قد فهم كل شيء ، لكنه أراد أن يعرف من خلال أحد مواطني المدينة ما هو هذا الشيء . أدرك أن مدينة « البسمة » قد فقدت بسمتها . وأن هذه البسمة مرتبطة بالبهجة التي يحسها كل إنسان في داخله . وتبعاً لهذا الأمر البالغ الخطورة ، فإن المهرجان لن يقام . ولماذا يقام والناس غير مدركة لأهمية البهجة في حياتها ، وليس هناك باعث لأن تفعل ذلك .

كان كل شيء قد تطور إلى الأسوأ في المدينة خلال ساعة واحدة من الزمن ، فما إن اختفت البهجة حتى أصاب الناس خشونة ،

وفقد الكثيرون منهم الإحساس بالرحمة والمودة . لذا انتشر الشجار بين الناس لأتفه الأسباب . وامتألت أقسام الشرطة ببلاغات عن شجارات عنيفة قامت بين المواطنين في كل مكان . . في وسائل النقل . والمصالح الحكومية ، وفي الطريق العام ، وأيضا بين أفراد الأسرة الواحدة . ولم يعد أحد يحتمل أن يناقشه آخر في أى مسألة ، وأحس الكثيرون أن آراءهم هى الصائبة . ولذا احتدمت الصدامات .

الشخص الوحيد الذى راح يتناقش ويتحدث هو هذا القزم الذى قابل العجوز ، والذى بدا كأنه يعرفه جيدا وقال له :
- مارأيك أن أذهب معك . . وأساعدك في استعادة الشيء المملوك . .

إزدادت الدهشة في أعماق العجوز ، وأحس أن هذا القزم يعرف عنه الكثير ، ثم تمت فجأة قائلا لنفسه :
- شيء غريب . فملا بسه تميل إلى الزرقة . .

(٩)

- يجب أن أفعل شيئا أولا هنا . .

هكذا ردد العجوز ، وهو يوجه كلامه إلى القزم ، توجه إلى أحد

المحلات التى تباع الأجهزة الكهربائية ، فتح تليفزيوننا ، فرأى مذيعة تتكلم بخشونة واضحة ، وتبدو ، كأنها غاضبة أشد الغضب ، وهى تذيع نشرة الأخبار ، داس على زر موجة البرنامج الموسيقى فى الراديو ، فانبعثت الموسيقى جميلة ، فجأة سمع صاحب المحل يقول :

- أرجوك . أوقف هذه الأصوات المزعجة .

أمسك العجوز الجهاز بيديه ، واقترب من الرجل . وقال :

- الموسيقى تبعث الراحة فى الأعصاب . .

قال صاحب المحل : بل هناك شىء ما فى أذنك . .

وسرعان ما خرج العجوز ، وقرر أن يعثر على أصدقاء يساعدونه

فى المدينة . . قال القزم الذى ظل يتبعه :

- هل رأيت؟ أنه لم يقدر قيمة الموسيقى . .

وراح يدندن اللحن الذى كان قد ينبعث من الراديو . . التفت

إليه العجوز وسأله :

- هل ما زلت هنا ؟

رد القزم : طبعاً . . سوف أرافقك . . أنا وثلاثة من أصدقائى

. . فرقة « الأقزام الأربعة الغنائية » .

سأل العجوز : وأين زملاؤك . . علينا أن نرحل بسرعة . . قبل

أن يستفحل الموقف . .

أشار القزم إلى الرصيف المقابل ، رأى العجوز ثلاثة أقزام آخرين ، يبدو كأنهم جميعا توائم للقزم الذى يتبعه كأنه ظله . أدهشه أنهم راحوا يتسمون له ، وهم يشيرون له كأنهم يعرفونه جيدا . أحس أن هناك شيئا وراء هؤلاء الأقزام خاصة أن اللون الأزرق غالب فى ملابسهم . ود أن يسأل القزم عن سبب اختيارهم لهذا اللون ، لكنه قرر ألا يفعل ذلك حتى لا يجعل الشك يتسرب إلى قلوبهم .

أحاطه الأقزام الأربعة وصافحوه . قال :

ـ سوف نرحل حالا . لكن أربعة أصدقاء غير كافين لمثل هذه الرحلة الغامضة .

قال أحد الأقزام : نحن نعرف الطريق . فلا تقلق . .

تمتم العجوز ، قائلا لنفسه :

ـ رائع . لقد أرسل « الشبح الأزرق » أربعة أقزام أغبياء . .

وسف اتخلص منهم بسهولة . .

أشار إليهم قائلا :

ـ سوف أعود بعد قليل . .

وسرعان ما اختفى . . وعاد بعد دقائق قليلة وفى صحبته غلام

في الثانية عشرة تقريبا وفتاة في نفس السن . وقال :
- اقدم لكم « الثنائي السعيد » هدى ، وهداية . . سوف
يرحلان معنا .

(١٠)

فرك « الشبح الأزرق » يديه وهو ينظر إلى شاشة صغيرة أمامه
يتابع عليها كل ما يحدث في مدينة « البسمة الضائعة » كما هو حال
اسمها الآن ، ثم نطق بكلمات لم تظهر على الشاشة لأنه كان يتكلم
إلى نفسه :

- رائع يا أزرق . . لقد ابتلع خصمى اللدود الطعم . .
أراد أن يضحك ، لكنه تراجع ، فهو لا يحب الضحك ، ومع
ذلك أحس بالارتياح الشديد ، فها هو خصمه الأبدى قد وقع في
الفخ الذى رسمه له . وهؤلاء الأقسام الأربعة الذين أرسلهم
لتضليله سوف يستدرجون إلى مصيره ، وسينتهى منه للأبد .
وهب الشبح الأزرق من مكانه وراح يتحرك في عصبية وكأنه
يتعجل اللحظات التى سيتمكن فيها من القبض على هذا العجوز
وأن يضعه في الزنزانة الزرقاء التى لا يمكن لسجين أن يخرج منها أبدا
مهما كانت قوته . . قال لنفسه وكأنه يتحدث إلى الأقسام .

- هيا يا غلمان أخرجوه بسرعة من المدينة والقوابه فى متاهة الجنون ..

وراح يضحك بشكل غريب . لم تكن ضحكته أشبه بضحكات البشر العاديين ، بل كانت ذات رنة غريبة ، بدت كأنها النواح ، استعذب هذه الأصوات التى خرجت منه ، وهو الذى لاصوت له بالمره ، ثم مد يده إلى سيفه الأزرق ، ولأول مره يخرج صوته بعيداً عن الشاشة :

- جانت نهايتك أيها النادر .. والنصر دائماً للأزرق ..
وانطلقت صرخاته .. نقصد ضحكاته الرنانة .

(١١)

قال العجوز لرفاق الرحلة قبل أن ينطلق الجميع نحو مجهول من أجل البحث عن شىء من الصعب العثور عليه :

- هذه المدينة فقدت البهجة لعدة أسباب .. أولاً لأن أعداء المواهب وقفوا ضد الموهوبين . ولأن الموهبة دائماً من الله يعطيها لبعض عباده دون الآخرين ، فإن عديمى الموهبة يغتاظون ، ويقفون ضد النجاح ..

قال أحد الأقسام :

- لكل إنسان موهبته أيها العجوز . .

أكد العجوز على كلام القزم وقال :

- طبعاً . . ولكن هناك مواهب جماهيرية ، ومواهب أخرى

فردية . . فالمطرب لابد أن يطرب ملايين البشر ، والشاعر يلقي

قصائده على الناس . . أما الماهر في تصليح السيارات مثلاً فإنه

يفعل ذلك في حدود السيارات التي يقوم بإصلاحها .

سألت هدى : والعلماء ، أليسوا موهوبين .

قال العجوز : هذه مسألة هامة . فاديسون الذي اخترع

المصباح الكهربى قد أنار كل بيوت البشرية إلى الأبد . ولكن

الغريب هنا أن الناس تتذكر المطرب وهى تسمعه أو المؤلف وهى

تقرأ قصته ، ولكنها لا تتذكر اديسون كلما أضاءت الأنوار . .

قال « هداية » : إذن فالفن يختلف . . لأنه يصنع الضحكة

والبهجة لدى البشر .

هز العجوز رأسه وأكد كلام « هداية » . فقد اختفت البهجة

من المدينة ولكن هذا لم يذهب بمنجزات العلم فى مختلف أمور

الحياة ، ولا بها يتعلق بالبهجة . فالموسيقى التى تنطلق من الراديو

لم تعد تهز مشاعر المستمعين حتى النكات التى أطلقها العجوز

لإضحاك بعض الناس لم تترك أثرها ، بل ظلت الوجوه جامدة

متحجرة ، ومن هنا جاءت خطورة الموقف .

بدأت الرحلة أمرا ضروريا للغاية ، وخاصة مع اشتداد موجة العنف في المدينة . ولذا انطلق العجوز نحو هدفه الذى يبدو كأنه لا يعرف بدايته . .

وكيف لأحد أن يعرف اين يمكن للبهجة أن تختفى !!

(١٢)

قال القزم « جوجو » أول من قابل العجوز :

- نحن نعرف الطريق جيدا . فالبهجة موجودة الآن في مقبرة الأخلاق الحميدة . .

بدأت كلماته غريبة ، سأله :

- واين توجد هذه المقبرة . . ؟

حاول القزم أن يلعب دور المرشد الذى يجب إطاعته ، طالما أنه

يعرف الطريق . قال وقد بدا متكلفا :

- إنها هناك . . خلف الحائل الأسود . .

انتاب « هدى » الانزعاج ، وسألت :

- يبدو أنها ستكون رحلة مليئة بالمتاعب . . أفضل أن أنسحب .

حاول العجوز أن يوقفها وقال :

- اسمعى يا هدى . انت تخافين من كلمات لامعنى لها .
قال « هداية » كأنه يؤازرها : علينا أن نعود إلى المدينة . ونعيش
فى سلام .

قال العجوز كأنه يستفزهما : وهل هناك سلام الآن فى المدينة
. . لو تعرفان لأسرعنا بدلا من الثرثرة . وإلا دمر العنف المدينة .
تذكرت « هدى » ذلك المنظر الغريب الذى شهدته يدور بين
جيرانها قبل أن تأتى مع العجوز ، فلأول مرة فى حياتها ترى مثل
هذا المنظر ولم تكن تتصور أن ترى هؤلاء الجيران الطيبين الذين
يتسمون بوداعة طيبة وقد اشتبكوا معا بمثل هذه الوحشية ، لذا .
قالت : سأكون معك فأنا أثق بك . .

كانت تعرف العجوز منذ أن اشتركت مع أخيها « هداية » فى
الغناء أثناء المباراة الخارقة التى أقيمت بين فريقى « التفاحة الزرقاء »
و« البرقوق الطازج » . وعندما أصابت مدينتها الكآبة التى تسودها
الآن ، كان أول شىء راحت تفكر فيه هو العثور على هذا العجوز
الذى كان مثار حديث الناس آنذاك . وفجأة وجدته أمامها .
قالت :

- كنت أفكر فىك .

رد العجوز : وأنا أيضا . . فأنت وأخوك صاحباً موهبة .

وقرر « الثنائى السعيد » أن يذهبا فى رحلة المخاطرات مع العجوز ، لكن فجأة أحست هدى أن الأمر أصعب مما تصورت فهى فى المقام الأول مطربة ولا تجيد لغة المغامرات ، أما أخوها « هداية » فلا يبدو أشد صلابة منها .

كان أغرب ما فى الموضوع هو أن العجوز قد قرر أن يترك قيادة الأمر للقزم « جوجو » ، وذلك من أجل أن يذهب الجميع إلى المقبرة التى دفنت البهجة تحتها .

(١٣)

وبدأت الرحلة . .

ولم تكن طويلة كما يتصور أعضاؤها .

فسرعان ما وصلوا إلى الهدف المنشود . وهناك قالت « هدى » :
- أنا لا أحب المقابر . .

قال أخوها : إذا أردتم الموعظة . . فاذهبوا إلى القبور .

أشار « جوجو » إلى ذلك المبنى الرخامى الضخم ، الذى بدا كأن فنانا عظيما قد أفنى حياته فى تصميمه وتشيينه ، وقال :
- من هنا علينا أن ندخل . .

أحست « هدى » بالانزعاج قال أحد الأقزام مازحا :

.. لا بد أن يدخل المرء هنا يوما ..

وضحك بطريقة أثارت القلق أكثر في قلبى الفتاة وأخوها . ثم راح يوضح أن هذه المقبرة ليست للموتى وإنما هى باب صغير للدخول إلى المتاهات الخمس الكبرى والتي فى نهايتها يمكن للمرء أن يعثر على أى شىء يريد . .

بدا الأمر شديد التعقيد . فماذا يقصد هذا القزم بالمتاهات الكبرى . . هل هناك وراء هذا البناء الصغير الفخم متاهات كبرى؟ ياله من سؤال بلا إجابة . .

حاول العجوز ألا يكشف عما يساوره من مشاعر وذلك حين راح يهدئ من مخاوف هدى وهداية . وقال :

.. من يدخل من هذا الباب لابد أن يتوقع أن يشاهد العجائب ..

هنا تتمم « هداية » : وهل هناك عجائب أكبر مما حدث لمدينتنا؟

وانتابته الشجاعة لأن يدخل من البوابة ، وكان بالفعل أول من وضع يده داخل المكان المظلم الذى وجد نفسه فيه ، راح يتلو بعض آيات القرآن الكريم من أجل أن يشتد أزره . وسرعان ما أحس بالراحة ، خاصة بعد أن دخل الأقسام الأربعة وراءه . . ردد

أحدهم :

- آه . ما أحلى الظلام . . إنه مملكة لامثيل لها !!

لكن ما إن دخل العجوز حتى انطلق نور خافت من الحائط ،
هنا صاح القزم « جوجو » وقد انتابه غضب :

- ماذا فعلت أيها العجوز . . نحن نعرفك جيدا . . أنت
ساحر . ؟

بدا كأن شيئا ما قد تغير بمجرد دخول الجميع من البوابة
الرخامية التي انغلقت وراءهم ، وكأنها لن تفتح ثانية أبدا .

(١٤)

صرخت « هدى » : يا إلهي . أحس اننى لن أخرج من هنا .
ردد « جوجو » : فعلا . حظكما سيئ أن تأتيا مع هذا الرجل
الفارس النادر .

سمع الجميع صوتا أجش ، غريب النبرات بشكل ملحوظ ،
ووسط هذا الضوء الخافت شاهدوا شيئا أشبه بالشبح ، أزرق اللون
وهو يرفع في يده علامة الموت ، ويقول وقد تقطعت حروفه :
- أيها النادر . . هذه مقبرة للجندى المجهول . . وستكون أول
من يدفن فيها . .

وسط هلع الصغيرين ابتسم العجوز وهو ينظر إلى خصمه
وقال :

- انت تتكلم عندما يكون هناك ظلام . ولذا فعباراتك متقطعة
وخائفة . . ها .

ونطق « ها » بصوت زاعق ، لم يترك خلالها أى فرصة لخصومه
أن يلتفتوا حولهم ، وان يبارزوه . فبكل سرعة تحول جسده الضامر
النحيل إلى كتلة بشرية تتدفق فيها الدماء والحويية ، ولمع سيفه
الغريب المفلطح فى يده وهو يدور حول نفسه كأنه يستعرض
عضلاته ، وأطلق السيف فحيحا قويا كأنه يشق الهواء شقا ، وكأن
هذا الهواء سوف تنسال منه الدماء لشدة نصل السيف الذى
يخترقه . صاح موجهها كلامه إلى الصغيرين :

- ابتعدا يا صديقى . . الأمر لن يستغرق طويلا .

وكانت المفاجأة أن الشبح الأزرق قد اختفى وسط الظلام وهو
يهدد متوعدا :

- لن أقاتلك يانادر . . الأزرق سوف يجعلك تموت من التيه .

أسرع « هداية » نحو أحد الأقسام وأراد أن يعضه فى كتفه ولكن
القزم كان قد ولى الهرب خلف زعيمه . .

بدت معركة سريعة ، حسمت بلا أى متاعب . . بينما بدت

صفحة فارغة

هدى وقد تماسكت بقوة ، وقالت بلهجة محايدة :
- إذن فأنت الفارس النادر .

قال « هداية » : لقد حبسوناهنا . . كيف سنخرج . . ؟
وقبل أن يسمعا إجابة السؤال تقدم العجوز الذى عاد إلى هيئته
مرة أخرى نحو الباب وراح يتفحصه ، حاول أن يفتحه ثم تذكر
ماقاله « الشبح الأزرق » إنه سوف يتركه هنا حتى يموت . ردد بكل
ثقة :

- لكل أزمة مفرج . .

سألت « هدى » : كان كلامه غريبا . . ماذا يقصد بالمتاهات
الخمس .

لمعت الفرحة فى وجه « العجوز » ، طرق على يده وقال :
- رائع . . لقد وجدت الحل . . المتاهات . .

(١٥)

كان عليه أن يجد طريقه فى المتاهات التى لانهاية لها . وهذه هى
المتاهة الأولى ، حيث تبدو أمامه عشرات من الدروب الحجرية
داخل مقبرة الجندى المجهول ، وعليه أن يختار واحدا منها ليصل
إلى بر الأمان . . تذكر ماقاله خصمه الأزرق أن من يعبر المتاهات

الخمس سينال مايتمناه . . لكن من يمكنه أن يفعل هذا . إنه المستحيل بعينه ليس فقط المتاهات كلها ، بل متاهة واحدة . .

فهنا ، ووراء كل طريق حجري تسكن المتاعب والوحوش الأسطورية التي لامثيل لها في عالم الخيال الجامح (الفنتازيا) . كل منها متأهب لمواجهة أى مغامرة يجرؤ على الاقتراب من المتاهة يلتهمه ويشبع جوعه الذى طال طويلا .

أحس العجوز أنه قد أخطأ التصرف حين قرر ان يستعين بكل من هدى وهداية كي يذهبا معه إلى هذه الرحلة فالمغامرة صعبة . ونتائجها غير مأمونة ، لكن كان لابد من أن يشاركه أشخاص من مدينة « البسمة » مهما كانت المخاطر . وخاصة أن المدينة تعاني الآن من متاعب لاحصر لها . . وقد اعتاد أن يرافقه بعض أبناء المدينة من الصغار الذين يمثلون أملا للبلاد في كل مغامراته السابقة .

سألت الصغيرة :

- أخبرنا . . ماذا سنفعل ؟

قال وهو ينظر إلى بوابة مقبرة الجندي المجهول :

- أفكر أن أحطم هذه البوابة وأن نعود . .

قال هداية : ولماذا لاتدخل المتاهات . .

رد العجوز : الطريق وعمر . . والمتاعب في انتظارنا . .
قالت هدى : المتاعب في انتظارنا ، خلفنا وأمامنا . . فماذا
يهم . . ؟ من الأفضل أن نتقدم .
رد هداية : المحاولة افضل من التراجع . .
قال العجوز بكل ثبات :
- وإذا عزمت . . ؟
ردد الصغيران معا : فتوكل على الله . .
قال : إذن ، فلتوكل على الله . . ولنصل صلاة الاستخارة . .
كان عليهم أن يصلوا صلاة الاستخارة قبل أن يدخلوا في أى
واحد من هذه الدروب الخطرة التى تخفى وراءها غيبا غامضا . .

(١٦)

أخرج يده من جيبه الصغير ، فكانت مليئة بالأحجار
الفوسفورية المضيئة وتقدم نحو أحد الدروب الحجرية المتعددة
وهو يتلو آيات قرآنية كريمة ، لم يكن أمامه سوى أن يذهب إلى
حيث دفعته قدماه . . وقد أمسك في يده اليسرى مصباحا خافت
الضوء ، يشيع من حوله شيئا من الاطمئنان والسكينة .
تملكت كلا من الصغيرين مشاعر متراكبة من الاطمئنان

والقلق من الإحساس بالمجهول والأمان ، فرغم أنها في صحبة
العجوز الذى يبدو وكأنه خبير بأشياء عديدة ، فإن إحساس أى
إنسان بأن المجهول دائما غامض ، ويخبئ وراءه المتاعب جعل
الشقيقين يشعران بكل هذه المشاعر المتناقضة . .

ويبدو أن العجوز قد أحس بمشاعرهما ، لذا قال :
- اسمعا يا صغيران أعرف أنكما تحفظان أغاني كثيرة . . لماذا
لا نغنى . .

قالت هدى : هل نسيت أن ما حدث أصاب المدينة كلها
ونحن أيضا ؟

توقف العجوز فى مكانه ، كأنه تذكر شيئا ما ، فقد اعتقد أن
هدى وهداية لم يتأثرا كثيرا بما حدث حيث لم يبد عليهما أى ضيق أو
عصبية ، ردد :

- لكنكما تبدوان لطيفين . .

قال هداية : هل تقصد العنف الذى اجتاح المدينة . .
لا تنسى أننا توءمان ونتصرف كأننا شخص واحد فى جسدين . ثم
إننا نتلو القرآن الكريم إذا غضبنا .

زم العجوز شفتيه ، وقبل أن ينطق بكلمة ، سمع الثلاثة زجرة
غريبة ، تنطلق على مقربة منهم ، كأن وحشا سوف يفرسهم . .

صاح العجوز :

- انتبها . . إنه قريب من هنا . .

(١٧)

لم يعرف العجوز أن «الشبح الأزرق» كان فى تلك اللحظات قد تمكن من التسرب داخل دروب المتاهة الحجرية ، ونجح مع أتباعه من الأقزام فى أن يفكوا قيد التنين الصخرى الذى يحرس أكبر درب من هذه الدروب الحجرية ، فانطلق هذا الأخير يزجر وقد أصابه جنون وشراسة . فهذه هى أول مرة فى كل الأزمنة التى يُفك فيها قيده . .

أخذ يدب بكل قوة فوق الأرض وفجأة سمع شخصا يقول له :
- ياعم يامتجهم . هناك رجل عجوز يود سرقة الياقوتة الموقوتة .

لمعت عينا التنين وسط الظلام وراح ينظر إلى القزم الذى حاول أن يخرضه على مهاجمة العجوز ، بدا كأنه يفهم مايقول ، فأخذ يزجر بشدة وانطلقت زجرته عبر كافة دروب المتاهة الحجرية التى لايمكن لبشر أن يدخلها وأن يخرج منها ثانية . . فالدروب كثيرة ومتشعبة وكلما عثر المرء على طريق انفتحت متاهات أخرى لامنفذ منها .

بدت زجرة التين كأنها إعلان عما أصابه من غضب . وسمع
العجوز هذا الصوت الغريب ، وتمتم :
- هناك مخلوق ما غريب . . لعله فى أزمة . . علينا أن
نساعدہ . .

قالت هدى : إنه وحش غاضب كما أعتقد . .
رد : لو كان غاضبا فعلىنا أن نواجهه .
بدا كأنه يمزح ، إنه يتكلم بكل ثقة عن مواجهة الوحش وهو
لا يملك أى شىء يمكن أن يصارعه به فى تلك اللحظات ، كان
الصوت يقترب أكثر وأكثر ، وكأن التين عرف طريقه إليهم .
فجأة مد يده إلى جيبه الواسع وأخرج قطعتين من القماش الأبيض
ألقاهما نحو التوءمين وقال :

- البسا هذه الملابس بسرعة . . فالموقف حساس . .
كان يعرف أن التين يمكنه أن يطلق النيران من فمه لمسافة
أمتار ، وأنه يمكن أن يحرق أى شىء إذا سقطت عليه النيران .
لاحظ التردد على وجهى الصغيرين ، فقال بحزم :
- ليس هناك وقت للتفكير . .

اقترب التين أكثر ، واشتد الموقف ارتباكا . فلم يعرف
الصغيران ماذا يفعلان بالضبط بالقماش الأبيض هنا ظهر التين .

كان غريب الشكل لافتا للانظار .
راح يحرك عنقه الطويل ورأسه المدببة يمينا وشمالا كأنه يبحث
عن فريسته أو عن هؤلاء الذين تجرأوا على الاقتراب من مملكته .

(١٨)

وسرعان ما بدأت المواجهة .
اندفعت كتلة من النيران من فتحة عينه الحمراء الضخمة ،
فانطلقت نحو العجوز تكاد أن تحرقه ، لولا أن دبت فيه الحيوية
فجأة وهو يصرخ : « ولو » . وفي كسور من اللحظات تمكن من
أن يقفز نحو سقف الكهف القريب وانطلقت كتلة النيران نحو
التأمين هدى وهداية ، وسرعان ما ارتدت تضرب في الصخور
واخترقتها .

قفز الفارس النادر نحو الأرض وراح يستل سيفه ، وذلك بعد
أن تأكد أن قطعتى القماش قد قامتا بحماية الصغيرين من هذه
النيران الحارقة التى بدت غريبة الشكل ، والحركة ، فهى تنطلق فى
دروب حلزونية كأنها تعرف طريقها جيدا وتتفادى أن تصطدم بأى
منهم .

لكن فجأة انطلقت من جديد نحوهم كأنها تود إصابتهم هذه

صفحة فارغة

المرّة . واندفعت أولا نحو «الفارس النادر» الذى أمسك سيفه الثقيل بين كلتا يديه ، ثم انهال على كتلة النيران بكل سرعة وقوة ودفعها بعيدا ، فاصطدمت بالجدران الصخرية ، وارتدت مرة أخرى نحو الفارس النادر الذى راح يحرك سيفه بمهارة منقطعة النظير ودفعها نحو الجهة الأخرى من الجدران . . صاحت هدى :
- سوف تصيبنا . . وتحرقنا . .

لم يرد الفارس بكلمة واحدة . بدا مشغولا بهذه المواجهة الغريبة ، وقد أدرك أنه أمام خصم لم يسبق له أن واجه مثيلا له فهذه الكتلة النارية تتصرف كأنها كائن حى يفهم ويعى مايفعله فهي تتحرك بسرعة وفى إطار حلزوني حتى لا يكاد المرء أن يراها . ويمكنها أن تلسع الهدف ، ثم تولى الفرار كى تصطدم بالجدار الصخرى وتعود ثانية .

تمتم الفارس :

- هذه الكتلة تود أن تنهك اعصابنا .

بدا أن الكتلة تعرف ما عليها أن تفعله جيدا ، وبينما المعركة الغريبة تدور ، كان الصغيران يرقبان وقائعها فى خوف وهلع ، أما التين فقد راح يرقب المعركة وهو يعرف تماما أنها سوف تنتهى لصالحه .

واندفعت الكتلة النارية نحو الفارس الذى راح يفكر بسرعة
متناهية ، واستطاع أن يتوصل أن هناك خطأ ما فيها يحدث أمامه
.. تتم :

- شىء غريب .. هذه ليست كتلة نيران .. سوف نرى ..

(١٩)

تذكر أن النيران لايمكنها أن تقترب من المتاهة الصخرية التى
يسكنها هذا التنين ، وتأكد أن مايدور أمامه ليس سوى نوع من
خداع البصر . ولذا راح يوجه سيفه مرة أخرى نحو الكتلة التى
اندفعت نحوه بقوة خارقة كأنها تود أن تخترق عظامه ، ثم دفع طرف
السيف العريض نحو خصمه المتمثل فى هذه الكتلة . وبسرعة
شديدة لايكاد للعين أن تراها أدار السيف . وبدا كأنه لاعب ماهر
فى البيسبول فضرب الكتلة النارية بكل عنفوانه ودفع بها نحو
التنين .

وانطلقت فى أرجاء المتاهات الصخرية صرخة عميقة تردد لها
ألف صدى . فقد عادت الكتلة إلى قواعدها مرة أخرى حيث
اخترقت عين التنين التى خرجت منه قبل قليل ، مما دفع بالتنين أن
يطلق صرخته المرعبة .. ثم اختفى فجأة ..

بدا كل شيء إشبّه بالحلم فلم يشاهد كل من هدى وهداية سوى باب صخرى يسد المتاهة ، وذلك بعد أن اختفى الوحش .
لم تتمالك هدى أن تتساءل عما يحدث . أما هداية فقد تنهد بعمق شديد وهو يقول :

- يا إلهى . لقد مات !!

لم يسمع ردا . فالفارس النادر لا يزال متحفزا بشدة لمواجهة خصمه ، وهاهو لا يزال ممسكا بسيفه الثقيل يستعد لمواجهة أى رد فعل مفاجئ يصدر عن التين الذى اختفى خلف الصخور، بينما توقفت الصرخات فجأة كأنها التين قد مات .
هنا أطلق تنهيدة وردد :

- حمدًا لله . . لعله اختفى . .

أشارت هدى إلى المتاهة الصخرية التى أفسدت فجأة وقالت :
- لكن الطريق أصبح مغلقا . .

هنا تنبه الفارس النادر أن شيئًا ما قد حدث وبدأ يتساءل عما دور من حوله فعلا ، فلاشك أن هناك علاقة ما بين اختفاء التين وبين هذه البوابة الصخرية التى ظهرت فجأة وسدت دروب المتاهة . ثم راح يفكر فى ما حدث ، وتساءل :
- ترى هل مات التين الصخرى فعلا ؟

كان كل شىء مثيرا للحيرة فكما ظهر التنين بسرعة اختفى بنفس
السرعة . . وحاول أن يتذكر وقائع المعركة وتساءل هل ما حدث
كان نوعا من الخداع البصرى . .
التفت فجأة نحو هدى وهداية وبدا كأنه وجد الإجابة . .

(٢٠)

قال : إنه تنين « صخرى » . . هل تعرفان ؟
لم يكن هناك وقت ليشرح ماتوصل إليه من تفكير ، فهذه
المتاهة الصخرية كل أبنائها من الصخور ونهايتهم دائما فى الصخور
ولذا فإن هذا التنين لم يكن أبدا كائنا حيا بقدر ما هو صخرة ضخمة
يمكنها أن تتحرك وتتحول كما تشاء .
هنا قرر أن يفعل شيئا ، وقف أمام الصخرة التى كانت قبل
قليل تنينا هائلا وقال :
- أيها التنين الصخرى . هكذا تعامل ضيوفك . . تسد الطريق
فى وجوههم ؟

انتابت الدهشة الصغيرين من الطريقة التى يتكلم بها الفارس
النادر الذى بدأ يعود مرة أخرى إلى هيئته كرجل عجوز ينطق
بالحكمة . . بدت لهجته خالية من الضعف ، وإن كانت تكسوها

الوداعة والرقّة ، فجأة انطلق من خلف الصخور صوت يقول :
— متاهتنا مفتوحة للضيوف الذين يعرفون كيف يزرعون
الابتسامة على وجوه الناس .

قال العجوز :

— آه . لقد فهمت . . فالبعض يسمونك بالوحش المتجهّم
لأنك لاتضحك أبدا .

جاء صوت التين من داخل الصخرة :

— أنا متجهّم ل ، لأننى لا أجد أحدا يضحكنى ويبهجنى .

قال العجوز : كى تضحك من اعماقك عليك أولا أن تكون
صافى النفس ، وألا يكون لك أعداء أو خصوم .

وبصوت غليظ ، أجش جاء صوت التين الصخرى :

— أنا ليس لى أعداء . . ولا خصوم . . لكن لكل شىء قواعد
. . من يمر من هنا يجب أن يضحك . . ألا يكفيكم أنا بوجهى
الصخرى المتجهّم ؟

هنا حاولت هدى أن تبسم لكنها لم تنجح فى ذلك فالتكشيرة
المرسومة على وجهها ليست من السهل إزالتها . أما أخوها هداية
فقد وقف متحجرا كأنه الصخر ، فهو أيضا غير قادر على
الضحك ، أو أن يشعر بالبهجة منذ أن ضاعت الفرحة من مدينته

. فجأة برز من بين الصخور نوء صغير ، أشبه الإصبع راح يشير إلى الأخوين وجاء صوت التنين يقول موجهًا كلامه إلى العجوز :
- انظر إلى صاحبيك . إنها صغيران . لكنهما لا يتسمان . .
قال العجوز وقد امتلأ بالحماس :
- انظري إليهما أيتها الصخرة العظيمة . ألا ترين أنهما قد جاءا
يتحملان المخاطر من أجل استعادة البهجة الضائعة . .
وجاء صوت الصخرة جافًا مليثًا بالقسوة والغضب :
- هذا ليس شأنى . . لن يمر من هنا سوى المبتهجين . .
وأحس العجوز بالحيرة الشديدة ، فعليه إرضاء هذا التنين
الصخري بأى ثمن ، فهو حارس المتاهات الصخرية ولن يدعمهم
يمرون بسهولة . .

(٢١)

قال العجوز :

- أيها التنين . . لقد اتخذت القرار الأصعب . . قررت أن
أقاتلك :

وسرعان ما ارتجفت القلوب . . فلاشك أن جنونا أصاب
العجوز ، فكيف له أن يقاتل هذا التنين الصخري الرهيب الذى لم

يتغلب عليه أحد من قبل . سوف يتغلب عليه خصمه بلا شك ،
حتى وان استخدم سيفه الخارق ، أو أى سلاح آخر .

هم « هداية » أن يتكلم كى يعدل العجوز عن قراره ، لكن
العجوز قال بكل ثقة ، وهو يضع سيفه جانبا :
- وساقاتلك بيدى وبدون سيف .

فجأة انطلق صوت التين كأنه صوت انهيار الصخور من فوق
الجبل ، وراح يردد ساخرا :
- أنت .. مسكين .. أنا لا أحب أن أقاتل شيوخا ..
فعظامهم تنكسر بسهولة .

فجأة انطلق صوت التين كأنه يئن ، بل يضحك وكأن أحدا
يدفعه إلى ذلك .. قال :
- لو سمحت .. لاداعى للدغدغة ..

كان صوته مثيرا للدهشة ، فبدا كأنه يقهقه ، فقد نجح
« الفارس النادر » أن يحرك أصابعه فى بطن التين الصخرى ، وأخذ
يلفها ، كأنه يدغدغة بالفعل ، أطلق ضحكة عالية انتقل تأثيرها
إلى الصغيرين اللذين علتها الدهشة . وتساءلا :
- ماذا هناك ؟

ارتفعت نبرات الضحكة ، وجاء صوت التين قائلا :

.. قلت لك .. لاداعى للدغدغة .. ها .. ها .. ها .. ها .. ها .. ها ..

وراح ينطق « ها » كأنه مصاب بزغطة ، بدا مثيراً للضحك ..
نظرت هدى إلى أخيها وأشارت باستغراب :
.. إنه يضحك ..

وفجأة ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتي « هداية » ، وقال :
.. فعلا .. إنه يضحك .

ثم بدأت الابتسامة تكسو شفتي الصغيرة ، والتي مالبت أن
تحولت إلى ضحكة ، فكشفت عن أسنانها ، وقالت :
.. ضحكته حلوة ..

ردد « هداية » : فعلا .. وأنت أيضا .. أنت تضحكين ..
واكتشفت هدى أنها تضحك ..

(٢٢)

قال التين الصخرى للعجوز :

.. اسمع يا صديقى . لقد فعلت بى ما لم يتوقعه أحد .. لقد
أضحكتنى .

هتفت « هدى » :

- ونحن أنا . . لقد ضحكنا . .

قال « هداية » : الضحك جميل . . وما أجمل أن يتهج المرء . .
لم يكن التين قد توقف حتى الآن عن الضحك ، أشار العجوز
إلى الصغيرين ، وقال :

- وانتما أيضا ضحكتما . منظركما جميل وانتما تضحكان . .

أخذ التين يقهقه ، وقال والضحكات تنسال منه ، وهو الذي
لم يذق قط حلاوة الضحك :

- أريد أن أضحك طيلة الدهر . .

هنا تنبه العجوز إلى شيء هام ، فقد جاء مع الصغيرين
يبحثون عن البهجة ، وليس الضحك هو الدليل الأول للبهجة ،
صحيح أن الضحك قد جعل أشكالهم جذابة ، لكن هذا بلا شك
ضحك صناعي . تولد بعد أن تمكن من دغدغة التين . ولذا فإن
الرحلة لم تنته . بل لعلها لم تبدأ بعد . وهنا قرر أن يفعل شيئا ،
فقال موجهها كلامه للتين :

- أيها التين . . لقد نجحت معك . . فهل تؤدي لي

خدمة . . ؟

وبينما التين لا يكف عن القهقهة ، التفت الصخور التي
يشكلها إلى العجوز، وقال :

- كل طلباتك مجابة . .

قال العجوز : افتح لنا متاهة البهجة . .

رد التين وهو لا يزال يضحك : آه . . ليس هذا أمرا سهلا . .

إنه ليس بيدى .

قالت هدى : نحن مبتهجون . . علينا أن نعود .

لم يجد وقتا كى يشرح لهم ان هناك فرقاً بين الضحك العابر ،
وبين البهجة ، صحيح أن الابتسامة قد تدل على الفرحه ، لكن
لا بد لها أن تصدر من قلوب سعيدة ، فعلا . تنبه العجوز إلى كلام
التين ، الذى قال إن الأمر ليس بيده . . فكيف ذلك وهو حارس
هذه المتاهة ، وهو الذى يعرف دروبها العديدة ؟ التفت إليه ،
وكان لا يزال يضحك . . راح يدوس على بطنه الصخرية ، وهو
يقهقه :

- رائع . . كلما احتجت إلى أن أضحك ، دست على هذا

المكان ، ها . . ها . .

وازدادت ضحكة الصغيرين . هنا سأل العجوز :

- أيتها الصخرة الضاحكة . لماذا لاتدلينا على متاهة البهجة . .

نريد أن نمر .

رد التين :

- أبدا . . لا أحد يمر إلا إذا فعلتم شيئا خارقا . .

(٢٣)

وامتلأت الرؤوس بالحيرة ، فهذا التين بدا كأنه وضع لغزا غامضا أمامهم . فما هو الشيء الخارق الذى عليهم أن يفعلوه كي يَمروا إلى متاهة أخرى؟ يبدو أن الأمر ليس سهلا . سألت هدى :
- ماذا؟

. رد التين ، وهو يشير إلى شيء ما أسفل قدميه الصخريتين .
- الشفاه تضحك . . لكن المهم القلب . . لو ابتهججت من قلبى فسوف يضاء المصباح الأخضر .
ووقع الثلاثة فى حيرة ، فكيف يمكن أن يتم ذلك ، هل يروى نكتة ؟ لا ، فالنكتة سرعان ما يزول تأثيرها ، وربما إنها ستبدو آثارها على شفثيه ، وليس فى أعماق التين . هنا فكر العجوز بسرعة ، وبسرعة أخرج شيئا أشبه بالميكرفون من حقيبته القماشية واقترب من التين ، وبحركة تمثيلية ، بدا كأنه مذيع شاب فى الثلاثين من عمره ، وصاح موجهًا كلامه إلى الميكرفون :
- أعزائى المستمعين . الآن ، نحن فى متاهة التين الصخرى .
ويسعدنا أن نسأله ، أهلا سيادة التين . نحن نعرف أنك مستمع

جيد . وبمناسبة برنامج « اغنيّتك المفضلة » ، ماذا تود أن تسمع ؟
راح التين يزّم صوته ، كأنه يخرج حشرة صخرية من
حنجرته ، ثم قال ، وكأنه يقوم بأداء مسرحية هزلية :
- احم . . احم . . أنا بصراحة . . أصلى في الواقع . . قل لي
. . ماذا لديكم بالضبط ؟

هنا لم يستطع الصغيران هدى وهداية ان يكتما نفسيهما من
الرغبة في الضحك ، فهذا هو التين يحاول أن يبدو ممازحا . أما
العجوز ، فقد أثبت أنه ممثل ماهر . وقال :
- لدينا « كازوزة » . .

ورفع التين الصخري رأسه إلى أعلى ، كأنه يتجرع المياه
الغازية ، وقال :

- لا ، أنا لا أحبها . إنها توجع لي بطني .

قال العجوز : وفيشار . .

وامتعض التين ، وأمسك بطنه الحجرية ، وقال :

- قد يكون طعمه لذيذا ، لكنه ينفخ لي معدتي . .

هنا كان الصغيران قد انفجرا في الضحك ، على الطريقة التي
يتكلم بها التين الصخري ، كانت حجارتها تتلوى ، كأن بطنه
توجعه بالفعل ، وراحت أعضاؤه تنثني . بينما علا الضحك الذي

سرعان ما انتقل إلى التين الذى توقف عن التمثيل وقال :
- مارأيكم ؟

قال العجوز ، وهو ينظر إلى أقدام الحيوان الكثيرة :
- انظر . . الضوء الأخضر . .

(٢٤)

لا ، لم تنته المغامرة بعد . . بل لعلها لم تبدأ . . فرغم أن التين
الصخرى قد نجح فى أن يعيد الضحكة الحقيقية إلى الصغيرين ،
ذه الضحكة التى ارتدت بسرعة إلى التين نفسه ، فان الرحلة
سانت طويلة . . ولم يكن أمام التين سوى أن يفتح الدروب
سرية من المتاهة الصخرية كى يصلوا إلى متاهة أخرى أشد
خطورة ، والسير فيها أكثر غموضا .

وقف التين عند طرف المتاهة الصخرية يستودع الرفاق الثلاثة .
وقال :

- شكرا لكم . . لقد قضيت معكم وقتا ممتعا . . لاتنسوا أن
تدعوني لحضور الحفل الكبير . .
قالت هدى :

- طبعاً . . فور أن نعيد البهجة كاملة من المتاهات البعيدة . .

ثم جاء الوداع . . راح الجميع يلوح بأيديه وقد ملأته مشاعر
مودعة عميقة . . أرادت هدى أن تبكى لكن العجوز سرعان ما قال :
- لا تبكى . . وإلا فسد ما انجزناه . .

وما إن اختفى الرفاق حتى استعد التين للعودة إلى المتاهة . .
وفجأة رآه أمامه ، بدا غاضبا وهو يفرد عباءته الزرقاء بينها أحاط به
ثلاثة من رجاله الأقسام الذين أمسك كل منهم بمسدس له أربع
فوهات يمكنها أن تطلق الرصاص المدمر فى أى لحظة ، قال أحد
الأقسام :

- أيتها الصخرة الجامدة . لقد ساعدتهم . .
اشتد بهم الغيظ أكثر ، إن التين كان لا يزال يضحك . رد
والقهقهة تملأ فمه :

- أهلا . . بالوجه الزرقاء . . هل سمعتم آخر نكتة ؟
رفع القسم الثانى المسدس نحو التين الذى لم يهتم كثيرا بما يدور
أمامه . وقال :

- لقد خدعوك . .
حاول التين أن يزيحهم بيديه الصخريتين القويتين ، وقال
بلهجة تمزج بين المزاح واللهو :

- بل أنتم الذين خدعتمونى . . كنت أتصور أن التكشيرة شىء

مفيد . . لكن أبدا .

هنا بدأ الشبح الأزرق لأول مرة ، وجاءت كلماته على الشاشة
التي وضعها هذه المرة حول بطنه :
- آه . . يامتجهم !!

كاد التين أن يحس بالغيط . لكنه تذكر أن الابتسامة افضل ،
وأن ثمنها أرخص ، وطعمها ألذ . وبكل ما اكتسب من خفة
ظل ، ومن قدرة على التمثيل ، قال محاولا إغاضة «الشبح
الأزرق» :

- اطلع . . يا «أزرق» . .

ثم سكت ، وقال قبل أن يدفعهم ، ويعود إلى متاهته التي لا
حدود لها :

- لو كنت أزرق «صحيح» ، الحق بهم هناك . . آه . .
ياويلك !!

قال القزم الثالث :

- اطمئن . لنا هناك أصدقاء مخلصون . .

(٢٥)

إنها اغرب متاهة عرفتها الحكايات . .

إنها متاهة الآبار الأبدية . . لها بوابة واحدة ، هي البئر الأول

الذى إذا نزل فيه شخص سرعان ما يتوه ولا يعود أبدا إلى الطريق الذى جاء منه .

وقف الثلاثة عند طرف البئر الأول . وقد أصابتهم الحيرة .
فترى إلى اين يؤدى الطريق الغامض .
قال هداية : شكله مخيف .

رد العجوز : لو خاف المرء ما انطلق . . علينا أن نسعى . .
ردت هدى : فعلا . . علينا أن نسعى وليس علينا إدراك
النجاح . .

بدأوا يشعرون أن هناك سباقا مع الزمن ، وأن عليهم أن يغلبوا
أى تردد أو خوف ، لذا سرعان ما أخرج العجوز خطافا من حقيبته
القماشية وراح يثبتها فى طرف البئر ، وقال :
- سوف أنزل . . وبعد قليل الحقا بى . .

ود هداية أن يسأله لماذا لا يتحول إلى الفارس النادر وهو مقبل
على مثل هذه المخاطرة المثيرة ، لكنه فكر أن العجوز فعل ذلك من
أجل أن يثبت فيها الشجاعة ليقتديا به ، فإذا كان العجوز قد فعل
ذلك ، وهو الواهن العظم فلماذا لا يحذو الصغيران حذوه .

بدت كأن الحمية استبدت به ، شبك المخطاف فى أطراف
البئر . ثم لوح للصغيرين بيديه وهو يتسم قبل أن ينزلق إلى الأغوار

السحيفة . كان قد أعد نفسه لهذه المغامرة فالبشر أشبه بمتاهة غريبة الشكل ، فعندما نزل فيه العجوز لم يكن يتسع إلا لشخص نحيل ، يمكنه أن يمرق منه بصعوبة ، وما إن يخرج من هذا المكان الضيق الذى يبدو كعنق الزجاجة ، حتى تبدأ فتحة البئر فى الاتساع شيئا فشيئا ، حتى تبدو كأنها هوة واسعة لا أعماق لها ، ولانهاية . .

لم يحس العجوز بأى انزعاج حينما وجد نفسه فى الهوة ، وردد :
- هكذا حال المتاهات .

فجأة انطلق صوته فى تلك الأغوار الغريبة ، أحس بالانزعاج ، فهذا الصدى لم يكن لصوت مسموع فهو لم يتكلم والكلمات . لم يخرج من أعماقه . راح يفكر فى أى مكان هو . فالصدى ينطلق عادة من صوت تردد فى مساحة واسعة ، تبدو فيها الموجات لصوتية كأنها اصطدمت بحاجز صخرى ، ثم تعود مرة أخرى ، ند ارتفعت . لكن الصدى هذه المرة لم يكن رد فعل لصوت ، بل ما تردد فى داخله .

فجأة سمع صوتا جهوريا عاليا يتردد فى أنحاء المكان ، وقد امتلأ بمهابة وتهديد :

- أيها الفارس النادر . . نحن هنا فى متاهات الآبار لانقتل

صفحة فارغة

أحدا . . . ولكننا سوف نصيبك إلى الأبد بالصمم .

(٢٦)

وفوجئت هدى بعد أن اخترقت عنق البثر الضيق بتلك الهوة الشاسعة ، فارتبكت ، وأصابها خوف شديد ، وانفلتت يداها من الحبل الذى تعلقت به فطارت فى الهواء ، وكادت أن تسقط إلى مالا نهاية ، وإلى لا طريق . انطلقت تصرخ وتردد صدى صراخها فى المتاهة الضخمة ، وكاد أن يصم أذننى العجوز ، الذى رآها وقد تعلقت فجأة من خلال المخطاف الذى التف حول بطنها . تنهد . وقال لنفسه .

- الحمد لله . . إنها ربطت المخطاف .

وسرعان ما تردد صدى جملة فى المتاهة الغريبة ، كان الصدى عاليا ، تسلل بقوة إلى أذننى العجوز رغم أنه وضع أصابعه فى فتحتى أذنيه لكن بلا جدوى .

سمع الصغيرة تقول :

- أيها العجوز . أكاد أن أهلك . .

رد العجوز محاولا أن يتحدى الصدى المرعب الذى يحيط بهما :

- تماسكى . . فلا أحد يموت هنا . .

وسرعان ماختلطت الأصوات ، خاصة أن « هداية » قد نجح في أن يتسلل إلى نفس المكان مرة أخرى ، بدا الثلاثة معلقين في الأحبال البعيدة ، وسط هذه الهوة التي لانهاية لأعماقها ولا حدود لأبعادها .

راح العجوز يفكر في شيء وهو يحاول ألا يخرج أفكاره إلى حدود لسانه حتى لاتنطلق أفكاره إلى المارد الأصم الذي يحرس متاهة البئر . وسرعان ماتوصل إلى فكرة رائعة وسط هذا الخليط الغريب . من رجع الصدى الذي بدأ يحدث أثره . . سرعان ما قال :

- هدى . . غنى بصوتك الجميل . .

لم تتمكن هدى من ترديد وسط رجع صدى ، الجملة التي ردها العجوز ، وقبل أن تعبر عن عدم قدرتها قال :

- حاولي . .

وتعمد أن تكون كلمته ذات أثر جذاب عليها ، وجاء صداها مجسدا ، مؤثرا ، بدا كأنه يبت فيها الحماس ، وأن تجرب ، وأن الظروف التي يمرون بها قد تدفعها إلى ذلك ، فالحاجة هي أم الابتكار . ردد من جديد :

- حاولي . . أرجوك . .

وكانت كلماته مؤثرة ، وبدا صداها مثيرا ، ارتجفت ، حاولت

أن تفعل شيئاً ، لكنها أحست بالعجز ، وفجأة انفجرت في البكاء .

(٢٧)

وتردد صدى البكاء في المكان . . لكن العجوز نظر إليها وهم -
الثلاثة - معلقون والاحزمة على بطونهم . وابتسم كأنه يعطيها
الحماس . فتحت فمها . هز رأسه كي يشجعها ، ثم بدأت تشدو
بصوت جميل لامثيل له بين الأطفال :

يابلادى يابلادى

فداك بكل حياتى

ارتجفت الكلمات لكنها كانت جميلة وعذبة الصوت ، انطلقت
في أنحاء المتاهة البعيدة الحدود ، وسرعان ما ارتدت كأنها تملأ
الكون بالشجن والبهجة ، تملكّت من شغاف قلب العجوز الذى
أشار لها أن تتوقف بسرعة عن الغناء . .

لكن هدى أرادت أن تستكمل . إلا أن العجوز كان حازماً
حيث أشار لها مرة ثانية أن تصمت . . ففعلت ما أمرها به .
وساد صمت رهيب في المكان .

وراحت عيون الأصدقاء الثلاثة تتبادل الدهشة . وجاء صوت
أجش من أعماق البئر يهدد في خشونة :

- لماذا توقفت أيتها . ؟

ولمعت العيون من الدهشة ، فمن الواضح أن المارد الأصم قد سمع هذا الصوت الجميل ، وهو الذى حكمت عليه ملكة المتاهات أن تنسد أذنيه إلى الأبد ، حتى يأتى شخص له صوت جميل ، إذا تردد فى أعماق المتاهة ، فإنه يمكنه أن يفقد صممه الذى تملك منه ، وأن يسمع من جديد ، لكن من أين له أن تأتى حاسة السمع . تتم بصوت لم يعقبه صدى :

- صوتك جميل . . يافتاة . .

ولأول مرة لم يعقب الصوت صدى . بل خرج من أعماق المارد الأصم نقيا ، سأل العجوز :

- هل تريد ان تسمع صوتا آخر جميلا ؟

وعلى الفور رد المارد :

- ياليت . . !!

ثم تتم : سوف يساعد هذا فى فك الغضب الذى حل على المتاهة . .

وأشار العجوز لهداية أن يغنى بصوته الجميل واستعدت المتاهة كلها لسماع صوته ، لكن كانت هناك مفاجأة . .

لم تنجح الكلمات المنشودة أن تخرج من أعماق « هداية » الذى يملك صوتا بللوريا ، وهو المعروف فى مدينته باسم « الكروان الذهبى » . امسك حنجرتة وكأنه يريد إخراج الكلمات ، نظر إليه العجوز فى دهشة وراح يحثه أن يفعل . لكنه قال ، وهو يكاد يحنق :

- لا أستطيع . . أنا آسف . .

هنا تدخلت أخته ، وقالت :

- حاول . . أن تغنى معى . .

وراحت تغنى :

ورد الربيع . . ورد الربيع

حلو وبديع . . ورد الربيع .

كانت مليئة بالحماس ، وعلا صوتها فى المتاهة ، فغلب صوت

لصدى المزعج الذى اختفى للأبد من البئر ، وحل محله صدى

عديد ، ذو أثر جميل . . إنها الأغنية ، التى كم شدا بها الأخوان

عما فى حفلات النادى الخيرية ، وأيضا فى حفل المدرسة فى

منتصف العام ، راح هداية يتذكر كيف كان التصفيق فى الحفل ،

ثم بدأت شفتاه فى التحرك . . ببطء أولا ثم بكل حماس . .

ورد الربيع . . حلو وبديع . .

لمعت عينا العجوز ، وهو يشاهد المارد الأصم يظهر لأول مرة ،
بعد أن كان صوته يملأ البئر ، كان غريب الشكل ، فهو دميم
بطريقة ملحوظة ، وليس في وجهه سوى شعرة واحدة تتدلى أسفل
أنفه ، تبدو طويلة وهى تهتز تحت تأثير الهواء الذى انطلق من فمه
وهو يشارك فى الغناء .

كانت لحظات رائعة . .

هنا هتف « هداية » :

- يا إلهى . أحس كأننى أقف على قدمى .

ردد المارد الأصم : بل أنتم تقفون فعلا على أقدامكم . . طالما
أننى أشعر بالبهجة .

كان هذا موقفا غريبا ، فرغم انهم فى هذه المتاهة التى بلا نهاية
أو حدود وقد ربطوا الأحزمة حول بطونهم ، فقد أحسوا بأنهم
يدوسون فوق الأرض . .

فى تلك اللحظات ، سقطت الأحبال من أعلى . . وهوت إلى
الأعماق وكادت أن تشد معها الصغيرين ، لكن العجوز صاح
قائلا :

- انزعا الأحزمة من فوق بطنيكما . .

وسرعان ما فعلا . . وكادت هدى أن تهوى إلى الأعماق مرة
أخرى رغم إحساسها أنها تقف فوق أرض صلبة ، تطلع المارد إلى
أعلى وقال :
- أحسن أن أحدا فك الأحبال من أعلى . .

(٢٩)

لم يقم أحد بهذا العمل سوى الأقزام الثلاثة ، اتباع الشبح
الأزرق ، الذين جاءوا بصحبة زعيمهم ، وراحوا يفكون أطراف
الأحبال من عند أعلى البئر ، كانوا على ثقة تامة أنهم لو فعلوا ذلك
فسوف يهوى العجوز ورفيقاه إلى أغوار سحيقة ، وستهوى
أجسادهم إلى المجهول طوال عام بأكمله قبل أن ترتطم بأى شىء
صلب . .

لكن الصدفة وحدها أنقذتهم من هذا الخطر المحدق . فما إن
سمع التين الأصم صوت الثنائى الغنائى الصداح ، حتى سرى
النغم إلى داخل أذنه الضيقة ، وسرعان ما دبّت الحياة فى الخلايا
الصماء التى بدت كأنها استيقظت على شدة أجمل من شدة
البلابل . .

ولأن التين الأصم أصبح كائنا بينهما ، فقد استطاع أن يمارس

قوته وسحره ، وجعل متاهة البشر أشبه بأرض صلبة يمكن لمن يدوس عليها أن يمشى كأنه ليس معلقا في الفراغ .

اقرب العجوز من التين الدميم ، ومد له يده وقال :
- تسعدنى صداقتك يا عم يامارد . .

قال المارد : وأنا شخصا أتمنى لو احتفظ بهذين التوأمين كى يغنيا لى طوال فترة وحدتى فى هذه المتاهات .

هتف « هداية » ، وقد انتابه حماس زائد :

- هل تريد أن أغنى لك . . هيا يا هدى . .

وانتعث المارد ، لأنه سيسمع هذين الصوتين الشجيين مرة أخرى . وانتابت الحمية الشقيقين ، فانطلقا يغنيان من جديد ، وسرعان ما تحول البئر إلى فضاء جميل تتردد فيه أحلى الأصوات ، لكن بلا صدى ، وأخذ المارد الأصم (سابقا) يهز رأسه ، وقد أغلق عينيه ، وتمايل ذات اليمين وذات اليسار ، بينما راح العجوز يفكر فى الخروج من هذا المأزق الجديد الذى وضعه فيه هذا المارد . .

تساءل :

- ياربى . . إنه يريد أن يحتفظ بالصغيرين هنا . . ترى كيف

أقنعه بغير بذلك .

هنا انتهت الأغنية ، ولكن المارد لم يكف عن هز رأسه من
النشوة . ولم يحاول أن يفتح عينيه ، فقد كان كل شيء يبعث على
الفرحة والبهجة . هنا همس العجوز في آذان الصغيرين :
- هيا بنا . . سوف نهرب . . إنها الفرصة الوحيدة . .
همست هدى : لكنه سيغضب لو هربنا . .
قال هداية : ليس أمامنا سوى هذا . .
واستعد الثلاثة للهرب . . وهنا توقف المارد عن هز رأسه ،
وفتح عينيه ، ورآهم يستعدون للفرار . .

(٣٠)

صاح المارد :

- إلى أين أيها الأصدقاء؟

التفت إليه العجوز وقال وهو يتسم : كنا نحاول أن نستطلع
المكان . .

ارتسم غضب على وجه المارد ، وقال :

- لا . . قل الصدق من فضلك . .

أحس العجوز بالخرج ، فقد اضطر أن يكذب ، وشعر أن
مافعله ضد مبادئه ، مهما كان الثمن ، لذا أكمل :

صفحة فارغة

- كنا نحاول أن نستطلع المكان لنهرب . . إلى منابع البهجة . .
وانتاب المارد نوع من الأسى ، وكان عليه أن يصدق العجوز
لكن هذين الصغيرين يودان مغادرة البئر إلى مكان آخر وسوف
يتركانه وحيدا ، إذن ماذا يفعل ، ليس أمامه سوى أن يحتفظ بهما
معهما كانت الأسباب . .
قال :

- معذرة . . ليس أمامي خيار . . لقد انتهى الصدى . .
وفقدت الصمم . . أنتم السبب . . وذنبتكم على جنبكم . .
وبدت الأحداث كأنها سوف تتصاعد مرة أخرى ، وأن مواجهة
حقيقية سوف تحدث بين العجوز والمارد . . راح يتحسس بين
ملابسه ، كأنه يفتش عن سيف الفارس النادر . . لكنه تذكر أن
السيف لن ينفع في مثل هذه الظروف . . لذا فكر في شيء واحد
. . في مخلاه .

هتف : وجدت حلا . . خذ هذه . .
ومد يده للمارد بجهاز غريب الشكل . وبعلبة مليئة بالشرائط
وقال :

- هذه تنفعك كثيرا . .
وراح يضع الساعة على أذن المارد فانطلقت الأغنيات الجميلة

من داخلها . . هنا سحب العجوز الساعة وقال :
- مارأيك ؟

رد المارد : رائع . . اعطني اياها . .
قال العجوز : سوف أعطيك هذا الجهاز . . وهذه الشرائط .
كل شريط مدته مائة ساعة . . لديك مائة شريط . . يمكنك ان
تسمعها . . لكن بشرط . .
قال المارد : أنا لا أحب الشروط . . ولكنني اعرف ماتريدون
. . فقط اعطني الساعة . . سوف أرافقكم حتى أبواب المتاهة . .
هه ؟

قال العجوز : نريد أن نذهب إلى المتاهة المائية . .
ارتجف المارد وقال :
- إنها خطيرة . . بل شديدة الخطورة . . أنا شخصيا لا أستطيع
الاقتراب منها . . فهنا حدود متاهتي . .
وبدا العجوز مصرا في أن يرافقه المارد إلى أطراف المتاهة المائية .

(٣١)

استعد «الشبح الأزرق» للاحتفال باهم حدث في حياته ، بل
وفي مملكته الزرقاء فقد تمكن وبسهولة غير متوقعة ، أن يتخلص من

منافسه الأكبر «الفارس النادر» . وهاهو الآن فى طريقه إلى الاحتفال المهيب الذى سيشهده بنفسه من أجل هذه المناسبة الرائعة .

لكن فجأة وهو ينطلق فوق جواده الأزرق نحو منصة الاحتفال جاءتة الأخبار البالغة السوء أن الفارس النادر لم يصب بأذى وأن المارد الأصم قد أصابته حالة غريبة ، فهو يضع على رأسه سماعتين كبيرتين ويمسك جهازا بيديه ولايتوقف عن الاهتزاز طيلة الوقت بعد أن قام بتوصيل العجوز ورفيقه إلى حدود متاهة الآبار .

انطلقت الأشعة الحمراء من عينى «الشبح الأزرق» معبرة عن غضب شديد استبد به وضرب الأرض بقدمه ، ولم ينطق بكلمة . وسرعان ماوجه جواده إلى قصره مرة أخرى كى يضع خططه الشريرة للتخلص من منافسه الأبدى . .

أحس أن الهزيمة التى لحقت به لاتعادلها هزيمة فى أى مكان بالعالم . وقرر الانتقام بأى ثمن . وسرعان مادعا أتباعه وخبراءه من أجل الحضور لمشاركته فى إعداد أكبر خطة حربية للتخلص من «الفارس النادر» عقب وصوله إلى المتاهة المائية .

وأمام شاشة ضخمة ظهرت خريطة عملاقة للمتاهة التى وصلها الآن العجوز ، ورفيقاه ، وراح الشبح يتطلع إلى معالم المتاهة بكل انتباه . .

رأى حيوانات ضخمة يعود زمنها إلى ما قبل التاريخ البشرى
وأيضاً حيوانات أسطورية لا توجد سوى فى حكايات الخيال
الجامح (الفنتازيا) . إنه يعرف أن هذه الحيوانات قد هربت إلى
دروب هذه المتاهة من مطاردة الإنسان لها ، بعد أن اخترع أدوات
التدمير ، واسلحة القتل الجماعية . فراح يصوبها نحو بنى جنسه
من البشر ، وأيضاً نحو سلالات هذه الحيوانات وسلالتها التى
تسللت إلى هذا المكان البعيد ، حانقة على الإنسان ، ومنتظرة أى
فرصة للانتقام .

هنا انتاب «الشبح الأزرق» ارتياح ملحوظ وقرر ألا يدخل هذه
المعركة ، فى المواجهة المنتظرة بين وحوش المتاهة المائية الشرسة وبين
«الفارس النادر» ورفيقه . .

فرك يديه من النشوة بقرب الانتصار وقال :
- سوف نرى . . بعد ساعات قليلة . .

(٣٢)

وقف العجوز ورفيقاه عند أطراف الجبل الذى يؤدى إلى دروب
المتاهة المائية ، وقد أحس أنه أمام مجهول غامض ، فهذه متاهة
تختلف فى شكلها ، والحياة فيها عما سبق ان مر به من متاهات . .

بل إن ساكنى هذا المكان يكون كراهية شديدة للبشر . ولذا سوف تكون المواجهة بالغة الخطورة .

سأل العجوز ، وهو يفرد قارباً صغيراً يستعد للإبحار به :

- هل تجيدان السباحة فى مثل هذه البحار ؟

ردت هدى : أجل . . لكن بقدر .

ولكن فجأة بدأت الأحداث المثيرة ، وعلى غير توقع فقد اكفهرت السماء واندفعت الرياح تصفر بقوة ، وانقلبت الأمواج العالية فوق بعضها ، وتحول القارب إلى كرة صغيرة تتقاذفها المياه والرياح ، ولم يكن أمام العجوز سوى أن يتصدى لهذه المخاطرة العاتية .

وقف أمام مقدمة القارب ، وراح يبتهل إلى الله وهو يرفع يديه إلى أعلى ، كأنه يواجه الرياح بأصابعه التى دبّت فيها دماء الشباب بينما انطلقت عباؤه البيضاء من خلفه ، وتطاير حول الصغيرين اللذين ارتجفت مشاعرهما من هول ما يريان وراحت العباءة تصنع خيمة مانعة حول هدى وهداية كأنها تحميها من هذه القوى العتيدة التى تكاد تعصف بهما . بدا «الفارس النادر» كأنه يود أن يمسك بشبح رهيب يكاد يقترب منه وأنه يتمنى لو افترسه .

تشبّثت قدماه بالقارب الذى اهتز بعنف فوق الموجات

صفحة فارغة

المتلاحقة التى تضرب بعضها بقوة ونادى بأعلى صوته :

- أيها الثعبان . . أنا فى انتظارك . .

وكأنها كان يأمره أن يظهر له على وجه السرعة . فجأة برز من بين الأمواج حيوان غريب الشكل ، قوى البنيان ، إنه ثعبان المياه المضطربة ، به مئات الخطوط السمكية ، ورأسه تحولت إلى هيدرا ذات ألف رأس تطلق سمومها فى كل مكان ، ويمكنها أن تبتلع كل هذه المياه فى رشفة واحدة ، بدا شكلها خفيفا . وراحت تهز رؤوسها فى كل النواحي كأنها تستعرض عضلاتها . وسرعان ما راحت تتكلم من عنقها الطويل :

- يابنى البشر لقد جئتم إلى مصيركم . . فساء ما اخترتم من مصير .

واستل «الفارس النادر» سيفه الأسطورى الضخم ، وراح يشهره فى وجوه ثعابين الماء وصاح :

- سيفى النبيل فى انتظار رقابك الشريرة . .

(٣٣)

سرعان ما تمدد السيف ، وانطلقت حافته الحادة ، لتصبح ذات ألف نصل ، ونصل . وامتدت أطرافه تقترب من ثعبان الماء

الشرس ، وانتشرت حواف السيف الخارق وهى تهتز بشكل تلقائى كأنها تستعد لنزع كل هذه الرؤوس من أعناقها وإلقائها فى المياه لتصبح طعاما لذيذا لبقية سكان المتاهة البحرية .

تراجع ثعبان الماء بسرعة إلى الخلف وحاول أن ينفث سمه من أسننه المتعددة كى يدافع عن نفسه بعد أن أحس أن معركته خاسرة لامحالة ، لكن هذا السيف أصابه بالعجز فلم يعد بقادر على أن ينفث سمومه ، قال وهو يرتجف من فتحه فى عنقه :

- الطيب أحسن . وكفانا شر القتال . .

اندفع السيف كأنه منشار كهربى تدور حوافه ويمكنها أن تقطع غابة كاملة من رقاب الثعابين ، قال «الفارس النادر» :

- لم نأت هنا لقتال . . ولكن كى نبحث عن البهجة . .

انكمشت رؤوس ثعبان الماء داخل جيب جلدى ولم يبق منها سوى رأس واحدة ، وجاء صوت الثعبان :

- بهجة . . يامرحبا . . إنها موجودة لدينا . . ساخنة . .
وجاهزة . . تفضلوا . .

فى تلك اللحظات بدأت الأمواج تنحسر ، وراحت السماء تصفو . وبدأت العباءة ، تنسحب من حماية هدى وهداية اللذين شاهدا منظرا بديعا . هنا قال الفارس النادر :

- نحن نبحث عن البهجة . وليس عن مشروب ساخن . .
تراجع الثعبان للخلف ، وهو يرى حدود السيف تتوقف عن
الدوران وتعود إلى حالتها الأولى ، وتصبح نصلا واحدا . قال
الثعبان الضخم :

- كله موجود . . الجميع في انتظارك . . إنهم في المتاهة السابعة
والتسعين . . ينتظرون على أحر من الجمر ؟
سأل هداية : من ؟ . .

رد الثعبان : الديناصور المجنون ، والماموث الحزين ،
والبيلو سيد المهزوز ، جميعهم في الانتظار . إنهم يدعونكم على
حفل استقبال رائع . . اشهى أطعمه ومشروبات البحر . .
أحس «الفارس النادر» بأن هناك شيئا ما وراء هذا الثعبان
الضخم ، فهو لم يتحول إلى كائن لطيف الأخلاق ، إلا بعد أن
كادت رؤوس السيف أن تشطر رأسه إلى آلاف القطع .
تمتم قائلا :

- أشعر كأن «الشبح الأزرق» قد تحالف معه . .

(٣٤)

واندفع الزورق الصغير ينطلق خلف ثعبان الماء الضخم في

مناهات المياه التى لاتكاد تنتهى . وشاهد الصغير ان كافة الحيوانات والكائنات البشرية التى انقرضت من فوق سطح الأرض . إنها تعيش هناك سعيدة يود بعضها لو يهاجم البشر القادمين من الأرض ، لكنهم كانوا فى حماية ثعبان الماء أو كأن هذا الأخير واقع رهينة بين ايديهم . .

حاول الفارس النادر أن يفتش عن «الشبح الأزرق» ، لكنه لم يجده . واشتدت دهشته ، فقد بدت الأمور كأنها غير طبيعية ، فهذه أول مرة يغيب هذا الشرير عن العيون طوال رحلة طويلة كهذه ، أحس الفارس النادر أن عليه أن يظل يقظا ، وألا ينسلخ ليصبح عجوزا ، قبل أن تحسم هذه المواجهة المنتظرة بين لحظة وأخرى .

وأخيرا وصلوا إلى المتاهة السابعة والتسعين . .

وكان الاستقبال جامدا وباردا . فرغم ان وحوش ما قبل التاريخ قد ارسلت من ينوب عنهم إلى هذا الحفل الغريب فإن المنظر كان يشبه حدادا على شىء لا يعرف أحد ما هو بالضبط ولا متى مات ولا كيف .

التفتت هدى إلى أخيها وقالت :

— أنا لست مندهشة . . أنهم أقرب إلى الدميات التى نراها فى

أفلام سيلبرج . .

حاولت أن تلمس جلد الديناصور لكن الفارس قال :
- حذار . إنهم أحياء . . لاداعى ، وإلا اعتقدوا أننا نسخر
منهم . .

ثم التفت إلى الثعبان وسأل :
- ماذا بهم ؟

رد ثعبان الماء : إنهم لا يحسون . .

كان هذا المشهد المهيّب يدور فوق صفحة المياه ، وقد افترش
كل منهم قارباً مطاطياً ضخماً راح يطفو به فوق المياه ، وقد صنعوا
دائرة كبيرة في وسطها عديد من الصوانى المطاطية فوقها ألد وأشهى
الأطعمة الساخنة . . قال « هداية » :

- كم أنا جوعان !!

تدخل الفارس : انتبهوا . . قد يكون فى الأمر مكيدة . .
هنا ، ودون أن يتوقع أحد ظهر « الشبح الأزرق » . بدا مهيب
الشكل ، وهو يفرد عباءته الداكنة وراح يشير إلى الفارس النادر
ورفيقيه وقال :

- ايتها الحيوانات المنقرضة . . هذا هو عدوكم اللدود . .
الإنسان . . وهو الذى سرق منكم لحن الوجود . .

(٣٥)

وزمجرت الحيوانات المنقرضة معا ، وأشارت جميعها إلى الفارس
النادر :

- هذا الرجل . . اقبضوا عليه . .

قال «الشبح الأزرق» : اقتلوه . . ولا تصدقوا كلامه . . فهو
معسول اللسان . .

ووجد «الفارس النادر» نفسه في موقف حرج ، ليس لأن
الوحوش المنقرضة قد أحاطت به فجأة تريد أن تفتسه ، ولكن لأن
عليه أن يكسب كل هذه الكائنات إلى صفه . التفت إلى الثعبان
الذى أحس بسعادة غامرة وكأنه قد قرر أن يتقم من الوحش .
هنا تدخلت هدى :

- أيتها الوحوش . . لقد جئنا نبحث عن البهجة . . ونحن
البهجة . .

لكن صوت هدى ضاع في الفراغ . هنا رمى لها الفارس بمكبر
صوت صغير وصاح :

- إلقى عليهم شعرا . بسرعة . .

وارتبكت الصغيرة ولكن مهابة الموقف دفعتها أن تتناسك . بل
أن تسترجع من الذاكرة بعضا مما حفظته من شعر عربى جميل ،
صاح الفارس :

- اقرئى شيئا . . لأحمد شوقى . .

هنا بدت الصفرة فوق ملامح «الشبح الأزرق» وصرخ :

- امنعوا هذه الفتاة أن تتكلم . . أنا أعرفها . . امنعوها . .

لكن هدى كانت قد تماسكت تماما وامسكت بمكبر الصوت
وراحت تنشد الشعر مع أخيها وقد اكتسبا ملامح ملائكية طاهرة :

لنا وطن بانفسنا نقيه وبالدنيا العريضة نفتديه

إذا ماسيلت الأرواح بذلناها كأن لم نعط شيئا

وساد المكان هدوء غريب ، بينما تلاشى «الشبح الأزرق» من
المكان ، فإن الديناصور راح يهز رأسه من النشوة ومد يده إلى بعض
الأعشاب النباتية الموضوعة فوق المائدة المطاطية وراح يلتهم منها .
بينما ردد الماموث :

- من فضلكما اكملا . . الشعر غذاء الروح . .

هنا بدت الذاكرة خصبة ، وأحس هداية وهدى أنها يمكنهما
أن يلقيا كل القصائد الجميلة التى حفظاها عن ظهر قلب من
الشعر العربى القديم والحديث ، بل وأيضا الشعر العالمى الذى
كتبه الشعراء فى مختلف العصور . قال هداية :

- سوف نقول شعرا للمصبرى . .

لكن الفارس صاح :

- لا . . لن نلقى شعرا . الا بشروط . .
وبدا كأن الأمور قد تغيرت . .

(٣٦)

أحس فريق الحيوانات المنقرضة بأنهم خرجوا ثانية إلى الأرض أن
أهم ما يميز الحياة فيها ليس أن سكانها من البشر يفكرون . لا ،
ليس هذا فقط فالبشر يفكرون في الخير والشر ولكن أيضا لأن هؤلاء
البشر يبدعون . . فالإبداع هو أساس البهجة في الحياة وهو الدليل
الأكيد أن بنى البشر مخلوقات طيبة حاملة ، تنشأ المثالية منها
تعاظمت قوى الشر والظلام .

ولذا ، فعندما سمع فريق الحيوانات المنقرضة القصيدة
ارتجفوا ، وتنبهوا أن هناك شيئا جميلا في تلك الكلمات يبعث على
صفاء النفوس . وسرعان ما امتدت الأيدي إلى الأطعمة وبدأت
الوليمة الحقيقية . لكن عندما طلب «الفارس النادر»
الصغيرين ألا يستكملا إلقاء الشعر كان يخطط لهدف آخر .

صاح أحد حيوانات العصر الحجري :

- لماذا أيها الفارس . . ؟

رد الفارس النادر : لأنه في هذه المتاهة الجميلة يوجد خائنون

. . يساعدون المملكة الزرقاء . .

وراح يبحث عن ثعبان الماء ، الذى كان قد اختفى تماما مثلما فعل «الشبح الأزرق» قبل قليل . . هنا ، هز «الفارس النادر» رأسه وقال :

- معذرة . . لقد فهمت خطأ . . سوف نسمع أحلى الشعر . . وستكون هذه أجمل الأمسيات .

وكانت بالفعل أجمل الأمسيات التى عرفتها متاحات المياه . فقد تنافس كل من هدى وهداية طوال ساعات طويلة من أجل إلقاء أحلى القصائد ، وأشهرها ، وكانت كل قصيدة جديدة تلقى استحسانا أفضل من سابقتها ، مما دفع بالحيوانات الأسطورية المنقرضة أن تطلب المزيد .

وعندما قرر الصغيران أن يتوقفا ، كان العجوز قد اتخذ هيئته الأولى ، وقرر أن يفعل شيئا من أجل كسب ود سكان المتاهات المائية . .

فقد أخرج من مخلاه البيضاء كل مايمكنه أن يترك من دواوين شعر كتبها الأقدمون والمعاصرون وحرص ان يترك أيضا جهاز تسجيل أنيقا يمكنه أن يلقي أحلى القصائد بلا توقف . ثم طلب الإذن بمغادرة المكان . . إلى حيث رحلته الأخيرة . . فى بلاد النار . . والمتاهات المشتعلة . .

سألت هدى ، وقد وصل الرفاق الثلاثة أخيراً إلى أطراف
المتاهات المائية :

- لكن أخبرنى لماذا لم تتخلص من الثعبان المنافق ؟

ابتسم العجوز وكأنه كان يتوقع مثل هذا السؤال . ثم قال :

- هل تعرفان ماذا تعنى البهجة . . ؟

هز هداية رأسه بالنفى . ثم فجأة تدارك شيئاً وتنبه أنه يعرف
الإجابة فقال :

- طبعاً . . البهجة هى أن يكون الآخرون سعداء وأن تشارك
أنت فى صناعة هذه السعادة . .

زم العجوز شفوية وراح يحرك أصابعه دليل الاستحسان وقال :

- رائع . . هذا هو . . البهجة نصنعها نحن للآخرين . .

القادر لغير القادر . إذا ملكك المال ووزعت منه على المحتاجين ،

إذا أعطاك الله الموهبة فأسعدت بها الآخرين الذين لا يملكونها . .

هنا تذكرت هدى موقف « الفارس النادر » وأيضاً العجوز :

الرحلة فقد كان قادراً على أن يتخلص من الثعبان بضربات هـ

من خلال هذا السيف ذى الأطراف المنشارية ، لكنه لم يف

فهو محارب نبيل ، ولا يميل إلى الدماء ، والعنف ، وأحست .

أنه طوال الرحلة كان يسعى لخلق البهجة والسعادة في قلوب
حراس المتاهات المختلفة ، متاهة الصخر ، ومتاهة الآبار ، وأيضا
المتاهة المائية التي خرجوا منها منتصرين يصحبهم حوت ذو ثلاثة
ذيول انقرض منذ زمن طويل ، راح يستودعهم عند أطراف المتاهة
قائلا :

- قلبي معكم . . فأنتم ذاهبون إلى متاهة . . لا ترحم . .
أحس العجوز أن الحوت قد تسرع ، فلاشك أن تحذيراته هذه
تبث الخوف في قلبي الصغيرين . وهم يستعدون للدخول إلى
المتاهات المشتعلة .

قال العجوز :

- الذين لا يجيدون السباحة يخافون من البحار . . والخوف
موجود دائما .

ثم تتم قائلا :

- لتكن بردا وسلاما على قلوبنا . .

إنه يحس أن النيران لا يمكن أن تأكل مؤمنا بقضيته ، ورغم ذلك
كان قد اعد عدته للدخول إلى دروب المتاهات الساخنة . فقد
أخرج من مخلاه بعض الملابس الشفافة ، دفع بها إلى الشقيقين
هداية وهدى وطلب منهما ان يلبساها مرددا :

صفحة فارغة

- انها عازلة للسخونة . .

عند هذا الحد كان الصغيران قد اكتسبا مناعة ضد المخاطر ،
فإى شخص شاهد ما حدث من تلك المتاهات التى اجتازوها
فلا بد أن يثبت قلبه ولا بد له أيضا أن يثق فى الطريقة التى يعالج بها
الأمر . .

لكن ، مهما كانت المناعة ، ومهما كانت الثقة فى النفوس فإن
الخطر ماثل وبالع الجسامة ، بعد ان تم الاتفاق بين « الشبح
الأزرق » والرأس المشتعل على أن تكون المتاهة المشتعلة هى آخر
مكان يراه الفارس النادر فى حياته .

(٣٨)

عندما دخل « الشبح الأزرق » المتاهة المشتعلة ، بدا كأنه ملك
متوج وأجريت له مراسيم استقبال رسمية وذلك لمكانته المرموقة فى
هذه الدروب الملهبة . وكان على رأس كل المستقبلين له « الرأس
المشتعل » . الذى تم تعيينه أخيرا كعقل مدبر لشتون المتاهات
والذى صاح مهلا وهو يستقبل ضيفه :

- أهلا . . صاحب السمو . . المورد الرئيسى للوقود لمتاهتنا . .
ورغم أن الشبح الأزرق لم يتسم قط فى حياته فإنه أحس

بغبطة شديدة وانتعش كأنه الطاووس وأحس أن مهمته في هذه
المتاهات سيكون سهلا . لذا قال من خلال الشاشة التي على
صدره :

- أرى أن درجات الحرارة لديكم منخفضة اليوم . .
هز « الرأس المشتعل » رأسه الذى يتأجج من النيران ، وقال :
- هذا حال الدنيا . . نحن فى حاجة إلى معونتك . . أرسل لنا
الوقود . والحرارة تزداد . .
بدا كأن « الشبح الأزرق » يتحسس درجة الحرارة فى المتاهة
وقال :

- حسن . . استبشر فالوقود قادم إليكم خلال ساعات قليلة
. . إنه وقود ذو طاقة عالية . المهم أن تعرف كيف تتعامل معه .
قال « الرأس المشتعل » : اطمئن . كل شىء قابل للاحتراق
. . هنا . . بمجرد دخوله بوابة المتاهة . .

ثم راح يسأل ضيفه عما يقصد بالضبط . . لم يشأ الشبح أن
يتكلم بل راح يعطى ملامح هذا الضيف القادم على طريقة
التمثيل البانتوميم . هنا تنبه « الرأس المشتعل » أن الأمر جسيم .
وقال :

- إنه واحد من مدينة الحكايات . هذا أمر خطير . .

لم يشأ « الرأس المشتعل » أن يتدخل فى خصومه مع « مدينة الحكايات » . فهو يعرف أى خطر يحيق بأحد أبنائها فوق متاهة ، فإنه كفيل أن يدفع جيوش أبطال الحكايات إلى محاصرة متاهته وليس من المستبعد أن يعلنوا الحرب عليهم . . . ويالها من حرب . . . أراد أن يرفض لكن سرعان ما تدخل « الشبح الأزرق » . وقال : — هذا ليس طلبا . . بل أمر . . ألقوا بالفارس فى المراجل المتأججة . . وحذار أن تدلهم على لغز البهجة . ولم يكن أمام « الرأس المشتعل » أى خيار . .

(٣٩)

بدأ العمل على قدم وساق وبهمة منقطعة النظير . فقد راح العجوز يقوم بتوصيل أنابيب البلاستيك الشفاف ببعضها ، قطرها يبلغ النصف متر . لم يسأل الصغيران عما ينوى أن يفعل بالضبط . لكن بدا كأنه يدبر شيئا ما . وبعد ساعات من العمل الشاق قال العجوز : — أخيرا .

قال هداية : إنها لعبة مثيرة . . قال العجوز : كل شيء يبدأ باللعب . واللعب دائما مفيد . سوف ترون .

كان قد اطمأن أن الخطة قد أعدت بشكل جيد ، وأن عليهم الآن أن يدخلوا المتاهة المشتعلة ، التي أصبحت قيد أمتار منهم . أشار إلى رفيقيه وقال :

- هل يصدق أحد أن هذه المتاهة هي في أدنى بقاع الأرض . .
لأنها في مركز الكرة الأرضية ؟

كانت هدى وأخوها يعرفان أنه حسب التركيب الجيولوجي للأرض ، فكلمها توغلنا في أعماق الأرض اشتدت درجة الحرارة ، وإن سطح الأرض الصلب كان في بداية الخليقة بمثابة مواد سائلة محترقة جفت على مر ملايين السنين ، وأصبحت بالشكل الذي يراه الناس عليه . ولذا فقد تركوا المتاهة المائية ونزلوا إلى أعماق الأرض الملتهبة بعد أن اتخذ محيطته .

وما إن دخل من باب المتاهة الملتهبة حتى أحست هدى برعشة وقالت :

- لم أحب النار يوما . .

كان العجوز يتوقع مثل هذا الأمر ، فأمسك بيديها ، وسرعان ما تسربت رطوبة ما في أوصالها وقال :

- لم يطلب منك أحد أن تحبى النار . بل أن تتعاملى معها بذكاء . . هل فهمت .

وبيده اليسرى امسك هداية الذى أحس باطمئنان شديد
لكن ، هنا ظهر ما لم يكن فى الحسبان ، إنه المارد المتوهج دوما الذى
تنطلق النيران من كل فتحات جسده وكأنها سوف تشعل
المكان من حولها . صاح «هداية» قائلاً :
- انظر . .

اندفع المارد المتوهج نحوهم ، وقد أطلق ألسنة من اللهب
المتعدد الألوان ، وبدا كأنه سوف يهجم عليهم ويشعل فيهم النيران
. . . لكن وبسرعة البديهة التى يتميز بها ، سرعان ما انتفش العجوز
وتحسس سيفه الذى يظهر توا عندما يتحسس مكانه ، ثم راح ينزع
عنه ملابس العجوز وألقاها بعيدا ، فالتهمتها النيران بينما وقف
هداية وأخته يرقبان ما يحدث ، فهاهى المواجهة قد بدأت لتوها فى
المتاهة . وهاهو «المارد المتوهج» يقفز بجسمه الضخم على خصمه
الذى صاح محذرا الصغيرين :
- ابتعدا بسرعة .

ودفع السيف فى بطن المارد الذى قفز عليه كأنه يريد أن يشعل
فيه النيران ، كانت الضربة بالغة القوة ، لكنها لم تكن بذات فائدة
فالسيف لا يشطر النيران أبدا .

صفحة فارغة

(٤٠)

وسقط الاثنان فوق الأرض وارتمى السيف بعيدًا . إنها المرة الأولى بالتأكيد التى يسقط فيها سيف الفارس منه . لكنه سرعان ماتماسك وقفز فوق الأرض المحترقة وراح يتوقع أن يهاجمه خصمه مجددًا ، بينما اندفع هداية نحو السيف يحاول أن يلتقطه ، هنا صاح « الفارس النادر » :
- لا تلمسه .

لكن كان المارد المتوهج أكثر سرعة ومهارة ، فقد قفز نحو السيف محاولاً أن يمسكه بأطرافه المتوهجة ، وما إن أمسك بالسيف حتى حاول أن يرفعه ليضرب به خصمه ويتخلص منه . وارتمى الفزع فى الأعماق ، لقد فقد الفارس سيفه ، وهاهو خصمه قد تمكن منه ، وماهى إلا لحظات ويصبح كل شىء فى خبر « كان » .

ولكن ما إن رفع المارد المتوهج بالسيف محاولاً أن ينزل به نحو « الفارس النادر » حتى أطلق صرخة عالية اهتزت لها أركان المتاهة . رمى بالسيف فوق الأرض وكأن حريقاً أصابه ، بل كأن برودة شديدة سرت فى كيانه المتوهج . وقال :
- النيران !!

وبكل مهارة استعاد الفارس سيفه ، ورأى خصمه يتلوى أمامه
وكأنه يستعد للذوبان فغمس فيه السيف ، وهو يعرف أن النيران
لا يشطرها شيء ، لكن شيئاً ما اندفع من طرف السيف كأنه بخار
جليدى جعل المارد ينكمش ويقل توهجه ، وتخبو نيرانه وهو يردد
متوسلاً :

- أرجوك . . لا تبردنى . .

وبكل قوة وعزيمة استكمل الفارس مهمته . ولكن توسلات
المارد الذى كاد أن يصيح فزعا ازدادت ، وضعف صراخه قائلاً :

- أرجوك . . لا تبردنى . . وأعدك أن أساعدك . .

وسحب الفارس سيفه وهو ينظر إلى المارد المسكين الذى لم يعد
متوهجاً ، وقال وهو يئن :

- آه . . كم هى مؤلمة . . البرودة . . إنها قاتلة . .

اقترب هداية من القزم الذى كان مارداً وقال :

- نحن نبحث عن البهجة . . إنها هنا .

وهز القزم رأسه بالنفى ، فازدادت الحيرة .

(٤١)

ترى ماذا يحدث ؟ . من المفروض أن هذه هى المتاهة الأخيرة ،

وأن البهجة موجودة في هذا المكان ، لكن الأشياء هنا حزينة ،
والأنين عال . وهذا أنسب مكان لقتل البهجة ، بعد تحويلها إلى
رماد . . سألت هدى :

-وصلتنا الأخبار أنها هنا . .

وقبل أن تستكمل هدى كلامها جاء صوت أجش ملئ بالمهابة

يردد :

-يا لها من خمسة ، أن تبتز قزما لاحول له ولا قوة . .

والتفت الثلاثة إلى « الرأس المشتعل » ، بينما ردد القزم :

-الجوبارد . . وأنا انكمش . .

وسرعان ماراح الفارس النادر يشهر سيفه نحو خصمه

الجديد ، وكأنه يعرف ألعابه جيدا ، ضحك « الرأس المشتعل »

قائلا :

-أنا أعرف هذا السيف جيدا . . إنه منشار . ومبرد . .

وبطارية شحن . . وأشياء كثيرة . . لكن من الواضح أنك

لا تعرف « الرأس المشتعل » . . هل تعرفنى ؟

وبكل ثبات وثقة في النفس ، رد « الفارس النادر » :

-أنت من لا يهزمه أحد . . حتى الأقوياء . . ولا يقترب من

متهتك إلا الأشرار ، الآن سوف تندم على اليوم الذى رأيتنى

فيه . .

صفحة فارغة

وأخرج موجهها صغيرا ، ما إن رآه « الرأس المشتعل » حتى
صاح :

- لا . أرجوك . . إلا هذا . .

كان يعرف أى خطر يكمن وراء هذا « الموجه » إذا داس عليه
الفارس النادر ، فخلال دقائق قليلة يمكن للمتاهة المائية أن
تصب مياهها الغزيرة فوق الأرض الساخنة ، وخلال دقائق قليلة
ينطفئ اللهب . وتغرق المتاهة بالمياه . . ردد الفارس النادر :
- عند المواجهة . استخدم أقوى اسلحتك .

رد « الرأس المشتعل » : ونحن ضعفاء أمام المياه . .
قال الفارس النادر فى تحد : ليس لى سوى طلب واحد . .
رد الرأس المشتعل :

- صعب . . إجابته صعبة . . لقد أخذها وذهب . .
سأل الفارس النادر فى دهشة : من . . الشبح الأزرق ؟

(٤٢)

انطلق « الشبح الأزرق » فى دروب المتاهة المشتعلة ، حاملا
صندوقا ثميناً به أغلى شىء فى الوجود ، محاولا البحث عن طريق
للخروج . . وهو يردد لنفسه :

- فليأخذوه . . فوق أشلائى . .

لم يكن يعرف الدروب جيدا ، ولكن حالة من الهوس أصابته ، دفعته أن ينطلق وحده فى مسالك المتاهة المشتعلة ، حتى يضلل خصمه اللدود بأى ثمن . وألا يلحق به مهما كانت مهارته . فهو لا يود أن يجابهه ، لأنه يعرف حدود قوته ، ولذا فإن أفضل شىء بالنسبة له هو أن يطلق عليه من هم أقوى منه وأشد بأسا .

كان يعرف أن الرأس المشتعل يمكنه بدوره أن يسلط أتباعه من أبناء المتاهة ، كى يواجهوا الفارس النادر ، ويتخلصوا منه فى لمح البصر ، لكنه لم يكن يعرف أن الأمور الآن فى زمام الفارس الذى راح يهدد بأنه سوف يفجر الممر الموجود بين متاهة المياه والمتاهة المشتعلة وأنه يستطيع أن يفعل ذلك بسهولة شديدة .

بدا «الرأس المشتعل» فى أضعف حالاته وأحس بالهزيمة وهـ

واقع تحت سيطرة الفارس ، حاولت استمالة وقال :

- صدقنى ، نحن لانتدخل فى أمور الآخرين ، فكفانا مـ

أصابنا . . والشبح الأزرق هو الذى جاء بصندوق البهجة ليخفيه

هنا تحت الرماد المتحرك . . أظنه الآن سيلقى بالصندوق هناك .

وفى انزعاج شديد تساءل الفارس :

- ماذا تقول . . الرماد المتحركة ؟

واهتزت الرأس المشتعلة مؤكدة على مايقول صاحبها . أحس
الفارس النادر أن الأمر بالغ الجسامة ، فلو أن الصندوق سقط
هناك في هذه الرماد المتحركة فإن أحدا لن يمكنه إخراجه أبدا .
وسرعان ماسوف يذوب وسط النيران المتأججة في هذه الرماد الخطرة
. صاح :

- يجب أن نلحق به . .

واستعد لأن ينطلق داخل المتاهة ، لكن «الرأس المشتعل» راح
يعترضه قائلا :

- ممنوع أيها الفارس . . وأنت تعرف التعليقات . .

وتراجع فجأة ، فهو يعرف أنه عند التعليقات فإن على «الرأس
المشتعل» أن يمثل ، حتى وإن دفع حياته ، وأصاب كلا من هدى
وهداية التساؤل عن حقيقة ما يحدث . . قال هداية :

- أفضل شيء . أن تدوس على زر المياه . .

تأججت النيران في «الرأس المشتعل» وقال :

- أيها الصغير . . نحن لانحب الأفكار الشريرة . .
وبدا الموقف معقدا للغاية .

(٤٣)

سأل الفارس النادر :

- هات ما عندك أيها المشتعل . .

رد «الرأس المشتعل» : لا أحد يمر من هنا إلا إذا دفع الضريبة . . هذا أولاً . .

قال الفارس : نحن لاندفع جباية . ولانتعامل بالنقود . .

قال «الرأس المشتعل» : ونحن أيضا لانعرف مسألة النقود . . أنت تعرف .

ثم أشار إلى الصغيرين . ارتبك الفارس . ترى هل يود «الرأس المشتعل» أن يأخذ أحد الصغيرين أو كليهما كي يفتح له الباب للحاق بالشبح الأزرق قبل أن يلقي بصندوق البهجة في الرماد المتحركة . اعترض قائلاً :

- الصندوق ملك لهما ، ولدينتهما . ولا يمكن . .

ولأول مرة تنفرج الابتسامة على وجه «الرأس المشتعل» وقال :

- أيها الفارس . لقد فهمت خطأ . . ليس هذا ما أقصد . .

سوف يأخذان البهجة ثم يعطياننا جزءاً منها . .

تنهد الفارس بارتياح وفهم ما يقصده «الرأس المشتعل» ،

والتفت إلى الصغيرين ، وقال وهو يتسم :

— إنه يطلب منكما أن تدعوا به إلى الحفل . . لو استعدنا الصندوق . .

قال هداية :

— كل من قابلناهم في هذه الرحلة سيكونون ضيوف شرف في المهرجان . .

واهتز «الرأس المشتعل» فرحا ، وانفجرت شفتاه الواسعتان ، وبدا أشبه بطفل صغير يمسك قطعة من الشكولاته اللذيذة في يده وقال :

— رائع . . هذا أول مرة أكون ضيف شرف في حياتي . .

علقت هدى : وسوف نمنحك درع الموهوبين . .

ابتسم أكثر وردد : يا حلاوة . . خذ هذه . .

ومد بمرآة ساخنة صغيرة للفارس . وهو يقول :

— هذا هو الأمر الثاني الذي وددت أن أحدثك به . . طالما أنني

سأصبح ضيفا عليكم . .

وأمسك الفارس المرأة الساخنة ، وهو يتساءل :

— ترى ماذا تكون بالضبط . . ؟

الآن ، على « الفارس النادر » أن ينطلق بكل مايملك من قوة ، وعزيمة داخل دروب المتاهة ، بعد أن ترك الصغيرين فى رعاية « الرأس المشتعل » الذى طلب منهما ان يحكيا له أجمل القصص التى يعرفانها .

إنها مسألة وقت . بل هى مسألة مصير بالغ الحساسية ، فما يدور الآن مرتبط بمصائر أبناء مدينة بأكملها ، انهم الذين يقتلون الآن فيما بينهم ، وخلال دقائق يمكن للحرب الأهلية أن تعلن فى مدينة « البسمة » وسوف تكون حربا ضروسا بعد أن فقد الناس كل ما لديهم من بهجة وسماحة ، واستعدوا ليحولوا كل أدوات منازلهم وأى شىء يقابلونه إلى أسلحة يقتتلون بها . .

لاشك أن هذا سوف يسبب السعادة لهذا الشبح الأزرق الذى يقترب الآن من شفا الحفرة العالية التى تقع أسفلها الرماد المتحركة .
ردد الفارس وهو ينطلق بكل سرعة :

.. لا أعرف كيف كان لى أن أتصرف دون هذه المرأة ..

راح يستخدم المرأة الساخنة على أفضل ما يكون ، إنها المرأة التى استطاع ان يرى فيها بعض مما يدور فى المدينة ثم أمكنه ان يعرف الدروب الملهبة التى اخترقها الشبح الأزرق كى يصل إلى هدفه ،

إلى الرماد المتحركة . .

ويفضل هذه المرأة استطاع أيضا ان يختصر طريقه داخل هذه المتاهة المتشابكة ، وخرج أخيرا إلى أول الطريق المؤدى إلى الحفرة العالية التى وقف عندها الشبح الأزرق ، وقد أحس ينشوة عارمة ، وأمسك بالصندوق وراح يتمتم :

- الآن ، وداعا إلى الأبد . . يامن أكرهك بلا حدود . .

أحس فى أعماقه كأنه يود أن يرمى بالصندوق إلى القاع . وأراد أن يطيل من متعته ، فصحيح أنه لو رمى بالصندوق إلى مصيره الأبدى ، فإنه سيشعر بسعادة ما ، لكن هذه السعادة لن تستمر طويلا مثلما هو ممسك بها الآن . لذا أحس بالحيرة ، فهل يرمى بالصندوق الذى حبس البهجة فى داخله ؟ أم يبقيه معه بعض الوقت قبل أن يقذف به إلى الرماد المتحركة ؟ هنا سمع صوتا يناديه :

- أيها الشرير . . لاتفعل من فضلك .

التفت خلفه ورأى خصمه الأبدى ، «الفارس النادر» ، إنه يمتدحه حين ناداه بالشرير . . لكنه يغيظه بلاشك حين يقول «من فضلك» .

ضم الصندوق إلى صدره . وراح يفكر . إنها لحظة النصر ، قد

جاءته أخيرا . ولاشك أن « الفارس النادر » يحس الآن بالهزيمة ،
وسوف يكسر قلبه ، لو رمى بالصندوق . كشر الشبح الأزرق عن
أنياه البارزة وقال :

- أيها الفارس تنأمنعك أن تتدخل في شئوني للأبد . . . هه . .
وألقي بالصندوق في الفراغ . . نحو الرماد المتحركة . .

(٤٥)

. صرخ الفارس بكل مألديه من قوة :

- قلت لك لا تفعل . . من فضلك . .

وكان الخطاف الذى ألقاه أسرع من كلماته حيث انطلق بكل
قوة نحو الصندوق المندفع في الفراغ هاويا إلى الأعماق نحو مصيره
الأخير، واندفع الخطاف يبحث عن طريقه محاولا أن يلتف حول
الصندوق . بينما اندفع « الشبح الأزرق » نحو خصمه اللدود يريد
أن يمنعه من استكمال عملياته المثيرة ومحاولته لاسترداد الصندوق
وهو يصرخ :

- اتركه أيها الوغد . . اتركه يحترق . .

لكن الصندوق توقف في الهواء بعد أن التف الخطاف حوله
وارتد عائدا إلى أعلى حيث راح الفارس يلفه بكل قوة بواسطة الخيط

المتين الذى يربطه ، بينما اندفع الشبح نحوه يسعى أن يصطدم
ببطنه ويسقطه فوق الأرض فيهوى الصندوق إلى الأعماق .
لكن الفارس كان من المهارة بحيث استطاع أن يمتلك زمام
الصندوق ، وأخذ يدير الخيط ويجعله يلف بكل قوة . . ثم
اصطدم برأس « الشبح الأزرق » وسرعان ما جعله يفقد توازنه وهو
ينطلق عند حافة الحفرة المؤدية إلى الرماد المتحرك .
وفي ثوان قليلة بدأ يهوى من أعلى . . وراح جسده الأزرق
يتشر فى الفضاء ، وهو يصرخ بصوت يثير التهكم . .
هنا ضم « الفارس النادر » الصندوق إلى صدره ، وهو يتنهد .
وأحس كأن شيئاً ما يناديه من داخله أن يطلق سراحه كي يعود إلى
بيته . . إلى قلوب الناس . . فى المدينة . .

رقم الايداع : ١٩٩٦/٧٨٩٣
I.S.B.N. 977 - 09 - 0344 -2

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيويه المصرى - ت: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)